

صهيل الجياد

محمد المشايخ

مدخل

تُمثّل الشاعرة الأردنية أمينة العدوان ، نبض الشارع العربي، بكل ما فيه من حميّة ونخوة وحب للنجدة، ومن التصاق بالأرض العربية ، وحرص على تحررها، وتعبّر عن ذلك بتمسّكها بالوحدة الوطنية، مقرونة بالوحدة العربية، ودعوتها للتعاقد، لتفويت الفرصة على أعداء الأمة ، خشية إلحاق الأذى بأي جزء من وطننا العربي، أو المقيمين على ثراه الطهور.

ولم يأت ذلك من فراغ ، فهي من مؤسسي الحركة الأدبية الأردنية، ومن الرواد الذين أرسوا دعائم الثقافة العربية، وهي أيضا من أوائل الذين كرسوا قصيدة النثر في سبعينيات القرن الماضي، حين كان ينظر الكثير من الشعراء والنقاد إلى تلك القصيدة، بعين الخشية والتوجُّس، وفي الوقت الذي يدعو فيه كثيرون لتكريس نظرية الفن للفن، نجدها تكرّس ما دعا إليه "سارتر" ، على صعيد الالتزام في الأدب والفن ، فتمسك بالحقوق الوطنية المشروعة لأمتها ، يضاف إلى ذلك ، أنها من أوائل الذين ساهموا في تسييس الشعر، بعد أن أشتهر الكاتب السوري "سعد الله ونوس" بتسييسه للمسرح، بل ارتقت إلى مرحلة النضال الشعري، فشاركت الذين يناضلون بالفيلم، والمسرح، وبالريشة واللوحه، وبالإزميل والنحت، والموسيقى، إلى جانب الذين يقاومون بالحجر والكتاب والبندقية، وهي ترى أن المقاومة حرب تحرير وليست ارهابا كما يقولون ، وهي لخلص للذين تسيل دماءهم على الجدران، وعلى الأسلاك الشائكة، حين يرفضون العبودية .

لقد تضمن شعرها تاريخا وتسجيلا صادقا لكل ما يجري في هذه المرحلة التي تعتبر من أهم الشهود على ما يجري فيها، كيف لا، وفيها حدثت كوارث تصعق كل من لديه

إحساس إنساني، فكيف يكون الموقف لدى شاعرة حساسة، بل مرهفة الحس، ومن أكثر المتأثرين بها، والمؤازرين لضحاياها، نعم، أرخت أمينة العدوان فنيا وجماليا لأكثر الأحداث دموية، وسجلت ردة الفعل العربية إزاءها، فكان في قصائدها أرشيف أيديولوجي، مصاغ بكلمات شعرية تعتبر معادلا موضوعيا للنضال بالسيف، ومن هنا لم يستغرب النقاد أبدا تداخل البعد الأيديولوجي مع البعدين الاجتماعي والسياسي في شعرها، الذي حدث فيه بالاضافة لذلك تداخل مع الواقع الموضوعي الذي تصدر عنه بأبعاده المختلفة، نعم، غدت مسألة توحد الشاعرة مع الأرض والحوار معها هاجسا ملحا في شعرها، فأبرزت "شعر المجابهة" بكل ما فيه من جرأة وتحدي ومواجهة.

وانطلاقا من انتمائها الجمعي، والتقائها المستمر والموصول بالوجدان الشعبي، فنها تحترم إبداعها، وتحرص على إيصاله لقرائها، ومن هنا نجدها قد أثرت المكتبة العربية، بحوالي ثلاثين كتابا، يتضمن كل منها، ردة فعلها، باعتبارها المبدعة، والمفكرة المستنيرة، وباعتبارها الممثل الحقيقي لصوت المرأة العربية الوطنية الجادة، لقاء ما يجري على أي أرض عربية تتعرض للعدوان، فكانت كلماتها، رصاصات مبصرة، ترسم لأحرار العرب سبل الخلاص، وتستشرف معالم المستقبل الوضاء للأجيال المقبلة، مشاركة بذلك أهم شعراء المقاومة في رحلتهم النضالية، فالشهداء يضحون بأرواحهم، ويرسمون لمن يحيون من بعدهم درب المجد والعزة والكبرياء، وأمينة العدوان، وغيرها من شعراء المقاومة (محمود درويش، سميح القاسم، ابراهيم نصرالله، يوسف عبدالعزيز، مريد البرغوثي، د. عز الدين المناصرة، وغيرهم)، بالشعر يكملون رحلة الشهداء، فتكتب قصائد حضارية راقية سامية نقية بريئة من دنس الاحتلال، أو التطبيع معه، مؤكدة أن الذين يستشهدون، سيأتي غيرهم، ليواصل رحلة النضال والمقاومة.

صوّرت أمينة العدوان في شعرها ما تتعرض له بعض أقطار الوطن العربي من استباحة وتدمير، ومن تجويع ونهب للثروات وانتزاع للحقوق، وتحدثت شعرا عن منع

الشعوب من نيل استقلالها ، والعمل على تحويلها إلى شعوب مستعبدة وذليلة ومستسلمة، وانتقدت البرنامج المعادي بكل ما فيه من تعطش لآبادة وإفناء وتجويع وهدم البنية التحتية، وتدمير ما تم بناؤه من مؤسسات تربية واقتصادية واجتماعية، وينغلغل شعرها في الوجد الروحي والجسدي الذي يعيشه الشعب، وتمر به الأمة.

وهي ترفد المكتبة المحلية بقصائد تحلق في الفضاء ، مرافقة للنسور في عليائها، وهي وإن كانت تنظر للأرض من ذلك الفضاء بعين الواقعية السحرية، فإنها لا تكف عن تسليط سهامها النقدية للسلبيات التي تنهك الجسد العربي، وتقوي أعداءه ، فتجلد الذات المتخاذلة، وتستنهض الهمم ، بقصائدها التحريضية المقاتلة، ومن يقرأ شعرها كله ، يُحس أنها تقيم في ساحة لمعركة حقيقية، ويشعر انها شقيقة الرجال، التي لا تكف عن توجيه شعرها الحماسي ، الذي يرفع من المعنويات المنهارة، ويغلق أي ثغرة يفتحها الأعداء، في جبهة الروح العربية، إنها الشاعرة التي تكتب القصيدة السيكولوجية، من موقع العارفة بأمراضنا السياسية والعسكرية ، وطرق علاجها، مبتدئة بفلسطين ، التي عايشت الشاعرة كل عدوان تعرضت له، وكل قمع أو تنكيل مرّت به ، لا يقاف انتفاضات شعبها المتتالية، والتي كانت آخرها انتفاضة الأقصى، التي انطلقت بتاريخ 2000/9/28، على خلفية الزيارة المشؤومة التي قام بها رئيس وزراء العدو للمسجد الأقصى ، مستبيحا وآله الحربية، قداسة ذلك المسجد ورحابه الطاهرة ، وعبر الشاشة الصغيرة ، رأت أمينة، وعايشت كل معاناة وألم وظلم انطلق من أبناء الأرض المحتلة، لتعبر عن مصاب أو معاناة ، نتيجة لانتهاك اسرائيلي جديد لحقوق الانسان.

وفي الختام يشكر الكاتب محمد المشايخ الشاعرة أمينة العدوان على رؤيتها النقدية الواردة في الكتاب وعلى الغلاف الخارجي.

محمد المشايخ

الفصل الأول

ديوان : انتفاضة الأقصى

تنحاز الشاعرة أمينة العدوان لديوانها الذي يحمل عنوان "انتفاضة الأقصى" لأنها أبدعته والانتفاضة في أوجها، وذلك بعد عودة منظمة التحرير الفلسطينية إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، وتأسيس السلطة الوطنية الفلسطينية، التي بدأت بإعادة إعمار ما دمره الاحتلال منذ عام 1967، وبإعادة غرس ما قطعه من أشجار على سبيل المثال، وباستخدام إمكاناتها مهما كانت متواضعة، في تمكين المواطنين من لملمة جراحهم، وفي الدفاع عن أنفسهم أمام الهجمة الشرسة التي تعرضوا لها.

وتؤكد الشاعرة في قصائدها، أن الأمكنة في ظل الاحتلال صارت جدراننا وحواجز وأسلاكاً شائكة ومحاصرة ومسروقة، وغدا الهواء غباراً ودخاناً، وقد أصبح الصوت الذي يسمعه المواطن هو صوت الصواريخ والجرافات، وصوت الغضب والألم الناجم عن المعاناة، وغدا العلم دماء، كما صارت حجارة البيوت دماء الشهداء، وصارت الشوارع قبوراً، وصار الشهداء أشجار الغار، وصارت قلوب السكان رماداً.

وفي ظل هذا الخراب، كانت نار المقاومة تشكل الرد الحاسم، بالعلم، والكوفية، وأشجار الزيتون وأشجار الغار، والسلاح، والحقائب..

فبعد أن أعدت فلسطين للشنق والقتل والذبح، وبعد أن أعد سكانها كي يناموا كأهل الكهف، استيقظت وسكانها، ورفضت الغيوبة، وعادت للحياة على يد أهلها، بعد أن رفضت المقاومة : المشائق والحرائق والرماد ورفعت السكين الذي القى بحبل المشنقة. وديوان "انتفاضة الأقصى" غير معني بتصوير قوة أو ضعف الشعب، بل معني بتصوير مقاومة الشعب الفلسطيني ، ورفضه إقتلاع الاشجار على سبيل المثال، وان اقتلعها الاحتلال، فإنها تعيد غرسها، ورفضه هدم المنازل، وإن هدمت فإنه يعيد بناءها، إلى جانب حمل السلاح:

(بيت لنا

وبيت

وبيت

ولا زائر إلا الجرافة

تذهب بهذه البيوت

هكذا تأتي الأنقاض).

وتؤكد أن العلم الذي أراد الاحتلال طيه، أعاد المواطن رفعه، والثوب الذي أراد الاحتلال طيه في الخزائن كي ينسبه بالتزوير لنفسه، أعاد المواطن إخراجهم ولبسه، وغدا المشهد بعد ذلك رائعا، فالانتفاضة المكلفة بالعلم المحمول بيد الجماهير التي ترتدي الكوفية في الشارع ، كلها رموز للوطن الذي نسير إليه..

وبين الاقتلاع والخراب نرى هذا البناء والأمل ، كما نرى الغضب والتصميم على زرع الانسان كالشجرة في الوطن حتى لا تقتلع الجذور، لأننا تموت إذا اقتلعت.

هنا لا تموت الأشجار، ولا يموت الوطن ، هناك حرب ضد إعدام الوطن وشنقه، وهناك لا يرضون أن تصبح منازلهم أنقاضا ، فيشيّدونها ثانية وثالثة "لقد أعدنا البناء" ، ويتسلحون بالحقائب ، والمظاهرات ، والكتب، والمولوتوف والأسلحة، وغدت "الأمكنة ثوب بلادي الذي يخرج من الخزائن لأرتديه"، هي حرب ضد اغتيال الوطن والحكم

عليه بالاعدام "سكين ضد الشنق"، ويمثل العلم الوطن "جلس على يدي ووزع ألوانه" ، أي انتشر ولم يعد مطويا، وطالما أن الشهيد يُلف بالعلم ، فإن هذا العلم هو الوطن الذي لن يرحل لن يبلى بالبطولات والتضحيات ، ستتغير الأمور، بعد أن صارت العلاقات الانسانية وداعا ، وألما بالاغتيال ، وغدت الفرحة في العينين "عتمة" ، ويدفع المواطنون الثمن بالاعتقال، وبالاستشهاد، وبالمعوقين وبذوي العاهات الجسدية، التي يتسبب بها عدو لا يراعي حرمة للمعاهدت والاتفاقيات والقوانين الدولية ، فيقصف البيوت والمساجد ، ويطلق الرصاص بكل انواعه ، من الدمدم إلى المطاطي والحي، ويقصف بطائرات الاباتشي وبالصواريخ والمدافع..

وفي قصائدها ، تؤكد الشاعرة أن المقاومة مهما حاول العدو قتلها إلا انها تعيش، ورموزها كثيرة، تتجلى في الهلال، والكوفية، والمئذنة وأشجار الزيتون، وفي النوافذ ، والأبواب، وفي الدماء التي تغطي الجدران..

الحياة ضد الموت، والبناء ضد الهدم ، والكرامة ضد الاذلال ، والحرية ضد الحواجز والعبودية، والمقاومة ضد اقتلاع الأشجار، وضد هدم المنازل، ولطرد الموت والانقاص، وبعث الوطن بعد دفنه، فيغدو المحاربون رمز الوطن الذي لن يتم التخلي عنه، وتكون الحرب ضد اغتيال الوطن، وتحمل اليد السكين لتقطع حبل المشنقة والقيد، وتمنع سرقة التاريخ والجغرافيا ، وتصف الاحتلال بالليل، والمقاومة بالنهار ، وهي مقاومة مشروعة لأنها ضد من أخذ وطننا ليس له ، وضد من يحتفظ المجتمع الدولي بأدلة إدانته المكتوبة على أوراق سوداء، ولا يتوانى عن مطالعة انتهاكاته لحقوق الانسان، واستخدامه الأسلحة المحرمة، واغتياله الكوادر في ظل غياب الموقف العربي، والحماية العربية، وأجمل ما قالته عن الشهيد :

(رصاصته القاتلة)

هكذا تأتي

على الأرض

تضع قلبي).

أصدرت الشاعرة أمينة العدوان ديوانها "انتفاضة الأقصى" عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام 2001، وكانت بذلك أول شاعرة عربية تُصدر ديوانا خاصا بهذه الانتفاضة، وأسرع شاعرة على صعيد الزمن ، توأكب هذا الحدث المُجَلجل سياسيا وعسكريا، قبل مرور أقل من عام على إنطلاقه، فهي الشاعرة المنحازة للمقاومة، والمنحازة للذين لا يرضخون للاحتلال كي ينكل بهم ، دون أن يمنعها ذلك من إعادة صياغة ممارسات الاحتلال وآثاره النفسية والجسدية على المواطنين العزّل، والذين لا يعدمون أداة الراد الايجابي، ابتداء من الحجر، وانتهاء بالقلم والريشة والمسرحية والفيلم والتراث الفلسطيني وحتى العلم والخارطة ، فهي الصوت المقاوم للأعداء كي يرحلوا، موحية للقراء في كل القصائد أنه طالما ظل الاحتلال موجودا، كلما استمرت المقاومة، وان استشهد بعض المقاومين، لا يعني انتهاء المقاومة، إذ ثمة أجيال تواصل النضال ببعديه السياسي والاعلامي، حتى يستسلم العدو ويرحل، الأمر الذي تحقق في جنوب لبنان أولا، ثم في قطاع غزة.

إن الدارس لقصائد هذا الديوان ، سيلاحظ جملة من المسائل الفنية والموضوعية المتعلقة بالقصائد المنشورة فيه، وهي على النحو التالي:

1. أن الخصم (العدو) في هذه القصائد، رغم امتلاكه أدوات الدمار، وآلات الحرب، إلا أن الشاعرة تجعل من (ابن الوطن) أقوى منه في ساحات الوغى، باعتباره صاحب الحق، الذي يدافع عن وطنه الحقيقي، خلافا للعدو (المُحتل).
2. أن في قصائدها حوارا دراميا باطنيا، له جمالياته التي تتجاوز استخدام المونولوج الداخلي ، أو تيار الوعي، يتكئ على سيناريو، وعلى أحداث مشتبكة على أرض الواقع، الأمر الذي يُحيل القارئ إلى مُشاهدٍ يستعرض لقطات سينمائية، هذه اللقطات التي افتقدناها في كثير من القصائد، وتنبه إليه، بين من تنبهوا، الشاعر ابراهيم نصرالله ، وخاصة في ديوانه " الحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق".

3. تستخدم الشاعرة "أدب الخيال الوطني، " بدلا "من أدب الخيال العلمي"، كي تدب الحياة في كثير من عناصر الوطن الجامدة، من خلال التشخيص والتجسيد، الذي يُحيل الجمادات إلى كائنات تشارك الإنسان ، وخاصة في لحظات المعاناة والشدائد، في أحزانه وآلامه، وفي ردود الفعل الحركية التي ستؤدي لإنقاذه من مآسيه، أي أن المكان والزمان ، والبيئة المحيطة، كلها تُصبح عناصر مساندة، في مواجهة العدو.

4. تستخدم الشاعرة لإبراز جماليات قصائدها ، وحصاد الانتفاضة التقديم والتأخير في الأسماء والأفعال التي تقوم عليها القصيدة، وبالتالي، فإن نهاية القصيدة عند الشاعرة أمينة العدوان، هي الخلاصة، وهي الفكرة، وهي القضية، التي تريد إيصال القارئ إليها، ففي قصيدتها "المعتقل في فلسطين"، ثمة مفارقة ضدية بين المعتقل وسجانه، فالسجان الذي كان يعتقد أن الأسير قد استسلم، تجعله الشاعرة يرى في لحظة ما ، ما في داخل المعتقل من أحاسيس ومشاعر وطنية، وما في داخله من تمسك بأرضه ورمزها الشامخ "العلم" ، فتقول:

(يفرش علم وطنه

غطاء له

وينام

هذا

ما

يراه السجان)

وفي قصيدة "عماد عقل" تُجري الشاعرة مقارنة ضدية أخرى بين ما يجري في داخل العدو، من نوايا انتقامية، وتطلعات توسعية، ترمي لمصادرة كل الأراضي العربية، وبين ابن فلسطين، الذي أخذ على نفسه عهدا يؤدي لعدم الرحيل عن الوطن ، ولإفشال كل مخططات العدو، تقول الشاعرة:

(والوطن الذي قال عنه المحتل

سأشنقه الآن

سكين

أذهب إليه

• وأقطع الحبال)

أما قصيدة "المعتقلون" فرغم قصرها وتكثيفها، إلا انها تختصر زمن السجن مهما بلغ طوله، لتشعر المعتقلين جميعاً "وليس واحدا منهم" ، أن نضالهم مهما طال، ومهما تجشّموا من مشاق، فإن عذابهم الروحي والنفسي والجسدي، قد أثمر الهدف الرئيس منه، والتمثل في تحرير الوطن، وعودة أبنائه إليه، تقول أمينة العدوان:

(سنوات

سنوات

وسنوات

خلف القضبان

وطريقهم آلاف العائدين)

وترتقي الشاعرة بالمعتقل درجات أخرى في مكانته الوطنية، حين تُحيل الوطن، الذي أعتقل وهو يدافع عنه، إلى يد تضمّد رأسه حين يتعرض للضرب بسلاح الجندي المدجج بالعتاد، تقول في قصيدتها " معتقل من سجن بئر السبع":

(وجندي مدجج بالسلاح

وبسلاحه

يضرب رأسي

ووطني

وأنا أرح من أجله

أرى يده تمتد

وعلى رأسي تضع ضمادة)•

ولأمانة العدوان، قصائد مليئة بالحركة والعنفوان والألوان، يتعاطف فيها المادي الخارجي برموزه ودلالاته الوطنية، مع ما في داخل الانسان المقهور داخل السجن من رغبة في الحرية ، فيستحيل الكفاح والنضال علم فلسطين ترفعه الأيدي على المباني بدلا من طيه ودفنه

(علم وطني

رأى القيد ما زال يطويه

جلس على يدي

وأخذ ينشر ألوانه)

5. وفي قصائد أمانة العدوان ، ثمة ذكر لأسماء حقيقية ، لأشخاص أو لأماكن، ومن الأشخاص الذين ذكرتهم: عماد عقل، محي الدين الشريف، أحمد الدقاسمة، الجنرال جمال كحيل، المطران كبوشي، غسان كنفاني، والياس خوري، عصام حمد، جمال الدرة، محمد الدرة، هلال وبلال، عبدالحميد الخرطي، ومن الإناث: زهرة الأطرش ، أم سارة، ومن الأماكن، مثلا مناطق بعينها مثل: فلسطين، ومدنا من مثل: القدس، ومقدسات من مثل المسجد الأقصى، وعناوين كتب من مثل: باب الشمس، و أسماء السجون الاسرائيلية من مثل: سجن جنيد، سجن نفحة، سجن الدامون، سجن كفار يونا، سجن بئر السبع، سجن شطه، سجن صرفند، سجن جنين

6. وفي قفزة موضوعية وفنية أخرى، تقف أمانة العدوان إلى جانب المرأة تحت الاحتلال، أيا كان موقعها ، وهي لا تُرينا صورتها وهي ضعيفة ، أو مستسلمة، أو صابرة على الضيم، مكسورة الجناح، بل في صورتها الأكثر حيوية وعطاء ونضالا، وفي أثناء عملها الدؤوب لتخليص الزوج من الأسر، هنا تصوير لصورة الأم الثكلى التي فقدت أبناءها، وصمود زوجة المعتقل ومطاردتها للزنزانة والسجان، ومشاركة المرأة الفلسطينية في النضال، والالم والمعاناة حتى عودة المعتقل سواء أكان الأخ أو

الزوج أو الابناء، فهذا الاعتقال وداع يتكرر تقول الشاعرة على لسان "زوجة المعتقل
في سجن جنيد":

(في الصباح أخرج في مسيرة

من أجل المعتقلين

في المساء

أطوف في المنزل

أنظر إلى مقعده الفارغ

أرق أرق

أحدق في الظلمة

الليل الذي بدأ يخيم

وقد رحل بعيدا، بعيدا، عني النهار).

وتوسع الشاعرة رؤيتها للمرأة تحت الاحتلال، حين تتحدث عنها في مشاهد ثلاثة ،
الأول: تربية الأبناء والاعتناء بهم في حال غياب ذويهم داخل الزنازين، والثاني: تفقُّد
المعتقلين ، الذين قد يكونون نساء (الأم) ، أو رجالا (كالأب والزوج) ، والثالث: رباطة
الجأش ، والشدة، وعدم الشعور بالانكسار والخذلان، فهي في قمة الحيوية والنشاط،
وأكثر قوة وجرأة من عدوها، تقول الشاعرة في قصيدتها: "زوجة معتقل في سجن
نفحة"

(أرى المرأة

التي تحمل ابنها وتسير

أمام باب المعتقل

قد يكون لها أم أو أب أو زوج هنا

لم تغادرها الأسوار

في هذا الشارع يراها المارة تسير

...أكثر من الشرطي)

وتصوراً الشاعرة الموقف الوطني للمرأة ، حين تقول في قصيدة على لسان زوجة المعتقل بأنهم مهما نكلوا بزواجها وكبّلوه للحيلولة بينه وبين المقاومة، فإن يديها ستصبح سلالا تحمل فيها ما يمثل الخلاص والحرية:

(ياخذون

ما تحمل

يداه

ويلقون

به

ويداي

سلال)

وفي تحدٍ آخر للمرأة ، نجدها ترفض تنفيذ رغبة الاحتلال ، بتحقيق مخططاته التهجيرية "الترانسفير" ، فتقرر الصمود والبقاء على أرضها وعدم الرحيل عنها، كما ترفض وسائله لتحقيق ذلك التهجير، عبر تدمير المنازل بالجرافات، فنجدها تبني البيت الذي يهدمونه مرة واثنين وثلاث، وتُجبر الجرافات على الابتعاد، تقول أمينة العدوان في قصيدتها "زهرة الأطرش":

(ونحن لا ننوي الرحيل

ونرفض أن تصبح بيوتنا أنقاضا

يهدمون

ونشيد ثانية وثالثة

بيتا لنا

يا للجرافة التي تبتعد

لقد أعدنا البناء)

وتمضي الشاعرة في وصف عنفوان المرأة في أثناء الانتفاضة، فهي الجريئة، التي تواجه، وتُحاور، وتناقش المحتل، وتُعدد له ما قام به من تدمير وأذى وفقدان أرادته لنا، وإجراءاته، وانتهاكاته، التي أصابتها في منزلها، وأرضها، ووطنها، وأخيرا في زوجها، تقول أمينة العدوان تحت عنوان " زوجة معتقل في سجن كفاريونا":

(ماذا تركت لي

البيت؟ أم الأرض؟ أم وطني الذي

أخذته

أم هو؟

حملته معك أيضا

الحديقة والشجر).

وتسترجع الشاعرة الزمان في قصيدة " زوجة المعتقل في سجن شطه" حين كان زوجها حرا، وحين أبلغها ذلك الزوج، بأنه يرفض الحرية الشخصية، عندما يكون الوطن معتقلا، فيخرج للمقاومة، وحين يتم اعتقاله، ويصبح هو والوطن في سجن كبير، تبقى الزوجة التي ترفض أيضا حريتها الشخصية، و تُعرب عن استعدادها للاستمرار في رفض الاحتلال، وللمقاومة في شخصيات مشابهة أخرى

(حين اعتقل

قال ان الوطن معتقل

ويريده حرا

سرت نحو مقعده

حين اختفت المقاعد

ورأيت نفسي

على مقعده

(أجلس)

ولئن كان الأديب الأردني عدي مدانات، من أوائل الأدباء العرب، الذين أرسوا قواعد القصة السيكولوجية ، وخاصة في مجموعته (شوارع الروح) ، فإن أمينة العدوان ، أول من أرسى قواعد القصيدة السيكولوجية في الشعر، وها هي في قصيدتها "تداعيات امرأة فلسطينية" تُبدي المرأة الفلسطينية، وهي تنطق بما يجري في داخلها من كراهية للاحتلال وأدوات الدمار التي يملكها، فتقول:

(علي أن أكره هذه الجرافة

كثيرا

قبل

أن

أقيم

في الشارع)

وفي السياق نفسه ، تنطق المرأة في قصيدة " أنا الفلسطينية " ، لتؤكد للمجتمع الدولي، ان هدم منزلها، وتحويل الضياء إلى ظلام ، لم يجعلها تأس أو تستسلم، فهي كطائر الفينيق تتجدد، وتجمع أنقاض بيتها كي تلتئم وتقف وجها لوجها مع جرافة العدو:

(أنا أنقاض بيتي الذي هدمه

وبريق عيني

من جرافته

أراده عتمة)

والمرأة في شعر أمينة ، رمز شامخ للحرية، وللنخوة، وللنجدة، وللنور في مواجهة العتمة، وللخير في مواجهة الشر، وهي أيضا شقيقة الرجال، التي تشعر بمعاناتهم، و التي تضيء دربهم، مهما حاول الاحتلال تكريس الظلم والظلام فيها، تقول أمينة في قصيدة " زوجة معتقل في سجن الدامون":

(في يدي أحمل الشموع

التي انطفأوا

لكي يوقدونها

ودربهم أضيء)

والمرأة أيضا، هي التي تستشرف المستقبل الأجل للمعتقلين، وهي التي تشعرهم ، حتى وهم داخل الزنازين، أنهم باعقتالهم، سطروا الخلود لوطنهم، ورسوموا معالم الحرية له:

(ها هم المعتقلون

يحفرون في جدار

زنزانتهم

حرف

هو نافذة

اسم

وطنهم

يطل

برأسه)

ولإبراز أهمية المقاومة بالقلم، فإن المرأة تتحدث عن زوجها الذي اعتقله العدو، بعد أن أحدث شللا في يديه، وحرمه من القدرة على القراءة والكتابة، كي تؤكد أن الأقلام تنام في يديه، والقلم في هذه الحالة، باعتبار جزء من يد المعتقل، بل بمثابة إصبع سادس له، يمكنه من المقاومة بالكلمة:

(زوجي

شلت يداه

من التعذيب

أوراقه مطوية

وكتبه ملقاة

وفي يده

تنام الأقلام

(الآن)

وتوضح الشاعرة الأمر نفسه في قصيدة ثانية على لسان زوجة معتقل من سجن اسود، مبرزة دور المرأة/ الزوجة المساند للزوج الذي تعرضت يده للشلل من تعذيب الاحتلال، هي التي تملي عليه الموقف الوطني الذي أصبح عاجزا عن كتابته، فتقول له:

(اكتب كيف سرق وطنك

كما كنت تكتب من قبل

تنفي ما يردده العدو من أكاذيب

كلمة - كلمات

لو تستطيع

أصابعه تتحرك ببطء

ترتجف

يده

فوق الأوراق البيضاء

وفي يده تنام الأقلام

(الآن).

والمرأة هي مصدر الشعاع والنور، حين يعم ظلام سجون الاحتلال، هي التي تحمل المشعل كي يبقى مضيئا، وهي التي تحمل الصور واللافتات، وهي التي تردد الشعارات الوطنية، التي تطالب باطلاق سراح المعتقلين، وبزوال الاحتلال:

(تحمل في يدها الأضواء التي تركوها

بينما يجلسون - في خيمة خلف القضبان -

تحمل صورهم
تحمل لافتات
أطلقوا سراحهم
كل هذا الضوء الذي يضيء
منازلنا منهم
أيها الجندي..يا ظلام
يا جندي الاحتلال).

والمرأة في قصائد أمينة في قمة الجرأة، تتحامل على جراحها، كي تشارك أبناء الوطن في أداء الواجب الوطني، وحين تفعل ذلك، فإن التقاف الجماهير حولها، واندحار العدو بعيدا عنها، يلتقي مع ما تراه الشاعرة ، من انتصار الخير، على العدو "الشر":

(وخيط من دماء
يسيل من فمها
يشحب وجهي
ويهرب اللون
أركض مع المشيعين في الشارع الغاضب
يطلقون الصرخات
فيهرب الشحوب
وتلتف حولي الألوان).

7. وفي الوقت الذي تواكب فيه الشاعرة ما يجري من معارك على الأرض ، فإنها تواكب أيضا ما يجري من معارك على طاولات المفاوضات السياسية، وهي وإن رفضت ما في تلك المفاوضات من بنود تؤدي إلى التنازل عن بعض الحقوق، فإنها تضع المفاوضات "العرب" أمام مسؤولياتهم التاريخية، فهم لا يمثلون أنفسهم، بقدر ما

يمثلون وطننا غالبا ، يتعرض للاحتلال، ويتم إلقاء أبنائه "لاجئين ونازحين ومشردين" في المنافي، تقول أمينة العدوان تحت عنوان "فلسطين":

(في هذا الاجتماع :-

وطنه الذي طالما

ألقاه المحتل

إلى الباب

يجلس الآن

أمامه

على الطاولة)

8. وفي الوقت الذي تنبه فيه بعض النقاد، إلى قيام بعض كتاب القصة والرواية ، من كتابة قصص متناثرة، تُشكل عند ترتيبها وفق تسلسل موضوعي رواية، فإن أمينة العدوان ، صاحبة القصائد المتفرقة والمتناثرة، والتي تجمعها "الوحدة الموضوعية" ، يُمكن اعتبار قصائد الديوان الواحد لديها، ملحمة شعرية، تُسطر وتُخلد وتؤرخ لفصول من نضال الشعب الفلسطيني، ومقاومته الباسلة .

9. وبقدر اهتمامها بالانسان، فإن الشاعرة أمينة العدوان، من أبرز شعراء المقاومة الذين انتبهوا لأهمية "الفولكلور" و"التراث والمأثورات الشعبية" في المواجهة، فالعدو لم يكتف بما يصنعه من مجازر ومذابح على الأرض ، بل يمارس معارك أخرى ضد التراث بما فيه من منجزات مادية ومعنوية، وخاصة الثياب، التي سرقها، وحاول إلحاقها بترائه، وفي قصيدتها "الثوب الفلسطيني" تستنهض الشاعرة هذا الثوب ، وتُحيله إلى وطن وتراث يرفض الطمس والانتحال والتزييف، واغتيال التاريخ والذاكرة والهوية الوطن ، تقول الشاعرة:

(وثوب بلادي الذي كان يطويه

إنه الآن

يخرج من الخزائن

وأنا أرتديه)

ولئن تضمنت قصائدها الكثير من اللوحات التشكيلية البصرية، فإنها في قصيدتها "عبدالحميد الخرطي" ترسم لوحة تشكيلية حقيقية ، فيها من الفن والشعر، ذلك أن تلك اللوحة تتشكل من مشهدين معا، مشهد الفنان في أثناء الاستشهاد، ومشهد اللوحة التي رسمها قبل أن يستشهد:

(النار أطلق عليه

واللوحة التي رسمها عن مذابحه

تمكث بجانب دمه

الذي نرف

وعيني التي أراها

أن تبقى مغمضة

عما يفعل

جعلتني

أحدق

في

(اللوحة)

10.وبقدر ما في نظرتها من شمولية تغطي أرجاء الوطن المحتل، إلا انها تتوقف في بعض الأحيان، عند أماكن لها خصوصيتها الوطنية والدينية والجغرافية، وفي طليعتها مدينة القدس، التي طالما تغنى بها الشعراء، ولطالما حظيت بأغان وطنية، كانت أروعها تلك التي غنتها فيروز " يا قدس..يا زهرة المدائن"، وتلك التي كتبتها أمينة العدوان "شعرا وفنا تشكيليا بصريا رائعا " فالشاعرة ترسم على جدران مدينة القدس وأسوارها بالأضواء " دلالة إشعاعها وتوهجها الديني والحضاري والسياسي " ، غير ان

الغيم "رمز الاحتلال" يحجب تلك الأضواء، فيما نفهم من سياق قصيدتها "القدس" التي جاء فيها:

(لأن القدس مدينتي

رسمتها كثيرا

ضوءا ضوءا

بكيت كثيرا

وأنا أرى الضوء

الذي رسمته على جدرانها

على أسوارها العالية

يتضاءل

غيم يأتي ويحجب الضوء

أصبحت لوحتي)

إن الحديث الشعري العام عن القدس، لم يُنس الشعارة المسجد الاقصى، والانتفاضة التي تفجرت في رحابه، والشهداء الذين سقطوا دفاعا عنه، فترسم لوحة بصرية ثانية لمعركة تستحيل فيها أجساد الشهداء إلى سيوف ترد الأعداء الذين رمزت لهم ب: الحاخامات ، وتُبقي " الهلال " بما فيه من رموز ودلالات دينية شامخا، تقول:

(يأتون

بينما سيوف المسلمين

مغمدة

يصعدون للمنذنة

وأجسادهم سيوف

تبعد القبعات عن المنذنة

وتبقي الهلال مرفوعا

مرفوعا)

وثمة شخصيات مقدسية لها مكانتها الدينية، توقفت عندها الشاعرة، لابرارز مواقفها الوطنية، وما نالته من جزاء حاقه من العدو ثمنا لها، فالمطران كبوشي، الذي أبعدته الاحتلال من القدس إلى الفاتيكان، يصرح في لحظة إبعاده للعالم كله، ان مقعده سيبقى شاغرا في القدس بانتظاره، وان وصوله الفاتيكان ، مع قداسته، إلا ان للقدس قداسة أخرى مهمة، تستحق منه أن يحتفظ بها ، وأن يحدث العالم عنها ، حتى يعود:

(أنا المبعد من القدس إلى الفاتيكان

لا أستطيع وأنا أصعد

الطائرة

أن ألقى بوطني من النافذة

وأن أجلس هنا في المنفى

أتكلم محاضرا عن مدينتي

فهنالك، هنالك

في القدس مقعدي)

وعدا عن الإبعاد، الذي طال رجال الدين المسيحيين، فإن للاحتلال انتهاكات أخرى تطال أيضا رجال الدين المسلمين، فالشيخ الذي يصلي يتحوّل إلى مقاتل للدفاع عن حرية المسجد، يحارب في الدفاع عن المسجد من يستبيح المسجد ويطرد جنود العدو من المسجد:

(أطلق الرصاص

على الشيخ

وهو يصلي

وبأصابعه التي غطاها الدم

أشار إليه

إرحل، إرحل

جندي أصبح..وبدأ الحرب).

وفي قصيدة أخرى تبيّن حرب رجال الدين في الدفاع عن المساجد ، حيث يعتدي الجندي على الشيخ، ويأخذ مسبحة منه ، غير ان الرمز يواجه الجندي ، ويسترجع المسبحة ذات الدلالات الدينية منه بالحرب والدم:

(بخونته وأسلحته

أتى

لكي يأخذ منه المسبحة

غسل وجهه

وشعره بالدم

ولكنه من الجندي

أخذ المسبحة)

وبالنظر إلى أن زيارة أرئيل شارون للمسجد الأقصى هي التي فجرت الانتفاضة، فإن الشاعر تسترجع ما رافق تلك الزيارة من اعتداءات طالت حراس المسجد ، مؤكدة أن تلك الاعتداءات لم تمنع الحراس من القيام بواجبهم لحماية الأقصى، ولمنع العدو من الوصول إليه:

(حين أتى شارون إلى المسجد

انتزع عين من يحرس الساحة

وبالرغم من هذا

منعه أن يمر

فرحل).

ولعامّة الناس أيضاً ، مواقفهم الدينية، ونخوتهم التي تحضهم على حماية أماكنهم المقدسة ، ودعوة العدو على الابتعاد عنها ، وعدم الاقتراب منها، فهي ذات مكانة خاصة

لدى مليار و400 مليون مسلم ، إلا ان العدو لا يتوانى عن إلحاق الأذى به باعتباره أداة
وعى وتنوير وتحذير:

(وأنا أقول له

إحترم مقدساتنا

اقتلع عيني

قاتل، قاتل

ينتشر السواد

ويغطي وجهه).

11. والشاعرة التي تدرك أن أكثر ما يؤلم الانسان بعد الفتك بجسده، الاعتداء على
منزله وأرضه، أوردت في ديوانها الكثير من القصائد التي تتحدث عن هدم المنازل،
وعن ردة الفعل العكسية لدى الانسان ، الذي يُهدم منزله، فبدلاً من إسكاته ، وإحباطه،
نجد الحياة تتجدد فيه ، ويتحول إلى قيدٍ في يد سائق الجرافة المتجهة نحو المنزل لهدمه،
تقول الشاعرة في قصيدتها "رامان خان":

(اعترضه

هذا السائق

وهو ذاهب لكي يهدم بيتي

سلاسل أكون

وأقيد يديه)

ولنلاحظ هنا ، أن الحركة من اتجاه واحد، انها من المواطن الذي يقوم بدور
الاعتراض "دفاعاً عن البيت"، وبدور رمزي هو الاستحالة إلى سلاسل كي يُقيد يدي
السائق ، ويمنعه من الحركة التي ستؤدي إن تحققت إلى هدم البيت.

ولأن الشاعرة تنظر إلى المشهد من علٍ ، أو من بيت النسر كما ذكرنا سابقاً، فإنها
الأقدر على وصف مشهد هدم المنازل، وأثره على أصغر التفاصيل في حياة الانسان،

إبتداء من الاستيقاظ في الصباح ، لتناول فنجان القهوة ، إلى التحليق الأبعد، هدم المنزل واستبدال الصباح المشرق بالظلام، وتحويل الهواء النقي إلى غبار خانق، غبار ما يتنفسه المواطن وليس هواء ،وذلك بعد أن يختفي البيت نفسه، تقول تحت عنوان "قهوة الصباح في فلسطين المحتلة":

(وفنجان القهوة في الصباح

وصوت جرافة

ودوي

وأين البيت

ذهب

وأين يقيم السكان

الآن

وصباح يحتجب

ولا قهوة

بل دخان

وغبار

ما أشرب)

وهو بدون بيت

اختار

بيتي

له

وعندما تداهم منزل المرء جرافة العدو، فإن الشاعرة تسخر له من بيئته من يفزع له وينجده في الوقت المناسب ، فالاشتباك بين الانسان الأعزل وبين الجرافة، لا يُسفر عن تدمير المنزل فحسب، بل يُدمر الانسان من الداخل، غير أن الانسان نفسه ، يستحيل إلى مقاوم صلب وعنيد، في مواجهة عدو أكثر شراسة، وأكثر تسليحا، وأشد قوة، ومع ألم هذا الانسان وهو يرى جدران منزله تتصدّع وتتهاوى، فإن مقاومته تطرد الانقاض، لتهيئ الظروف اللازمة لإعادة البناء:

(كيف تزورني الجرافة

أرى كيف تتصدع الجدران، تتهاوى

وتذهب بالبيوت

وبي

أقف مقاوما

جنودا مدججين بالسلاح

ودمائي وقميصي

الذي تمزق على الجرافة

طرد الأنقاض)

وترتبط بالأرض مسألة اقتلاع الأشجار، وخاصة أشجار الزيتون المباركة، ذات الدلالات الوطنية والاقتصادية، والتي ترتد في الشعر بنادق ، ورسا صا ، حتى في الطعام، حين تساقط الأسلحة حتى في الصحون، ومع ذلك فإن العدو لا يشعر بالأمان، لأنه لم ينجح في اقتلاع الجذور:

(أشجار الزيتون تقتلع

من أشجار الزيتون

ناكل عندما نجوع

بنديتك

معلقة على الأشجار

ولا طعام

ورصاصك في الصحون

على المائدة)

وتضيف الشاعرة ، انه بقدر كراهية الاحتلال لأشجار الزيتون باقتلاعها، فإن اقتلاع هذه الشجرة ، رمز لاقتلاع المواطن من جذوره، ورمز لاقتلاع الوطن والمواطن ، فالمقاوم هو الذي يعيد الشجرة المقتلعة ويزرعها ثانية:

(أشجار الزيتون

لما تلاحقه

كأنه الجذور

، اغصانها إنها أينما يسير

حواله تطوف)

وعدا عن الدلالات والمعاني المرتبطة بشجرة الزيتون، فإن الشاعرة تضيف لها دلالات أخرى تتمثل في انها الرداء الذي يطرد الصقيع عن الوطن وأهله، تقول ذلك بصورة شعرية فيها من الرقي والتجديد ما يسمو بمكانتها الشعرية:

(في البرد

من أوراق الزيتون

وضع أزرارا

لمعطفه

وأقفله)

وفي مشهد شعري آخر، تشارك أشجار الزيتون والغار، في تشييع جثمان شهداء انتفاضة الأقصى، وتقبلهم ، علامة على مكانتهم ، ودلالات على كبر حجم الدور الذي أدوه، والعمل الذي أنجزوه قبل استشهداهم، وفي الوقت نفسه، تؤكد الشاعرة على ثبات

وصمود هذه الأشجار في الأرض، ومتانة جذورها، وتؤكد الشاعرة أن الجذور في الأرض يصعب اقتلاعها، وإن اقتلعت تموت، والمقاوم يزرع الأشجار المقتلعة، فتبقى الجذور في الأرض، وخاصة أشجار الزيتون والغار بدلالاتها المرتبطة بالإنسان الفلسطيني الذي يرفض الاقتلاع:

(من أجل أن تبقى الجذور

تنحني أشجار الزيتون والغار

علي

وتقبل وجهي)

وتؤكد الشاعرة في أكثر من قصيدة، أن التضحيات الجسام بالارواح والأجساد والدماء هي التي تطرد المحتل في النهاية، وهي التي تضع حدا للاحتلال، وتحرر الأرض من الأعداء:

قبل أن يرحل عن أرضي

كانت الأرض

قد زارتها

كثير من الدماء)

12. يقول د. خالد الكركي في كتابه "حماسة الشهداء" الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عام 1998، صفحة 20: (إن الموت في سبيل الله هو الغاية، وقد أدرك الشهداء الذين اختاروا هذه الطريق انهم نجوم السرى في زمن التيه، وصوت الحق في زمن الردة، إنهم الصامتون والصابرون ، وهم المعلمون الذين ينجزون كتابهم مرة واحدة ، ويتركون لمن ظلوا وراءهم أن يتعلموا ما في الكتاب).

أما الشاعرة أمينة العدوان ، فقد كتبت أيضا في موضوع الشهادة، ولئن كان العرب قديما يشبهون من يجود بماله بالبحر في كرمه، فإن أمينة أيضا تشبه الشهيد بالبحر الذي يواجه الصحاري، فالاحتلال جعل الأمكنة صحاري، والشهيد هو البحر ضد الصحاري،

فهو يكرم ويضحّي بروحه، ليضمن الحياة الفضلى لمن بعده، نعم، الشهيد عند أمينة،
يستحيل إلى بحر، يقطن الشعب الصامد على شواطئه، ولا يرحل ، تقول:

(إنه بحر وعلى شواطئه

يجلس السكان الآن).

وتهيء الشاعرة للشهيد، من عناصر الطبيعة، من يمجده ويتغنى بنضاله، فهو الذي
يستشهد دفاعا عن الأرض والوطن وحرصا عليهما وحبا لهما ، حيث تكون الأرض أهم
من الروح، فالأرض تبقى، حتى لو صعدت الروح:

(رصاصة تقتلع عيني

عيني دم

الأرض تحملني

تهرب بي

وفي عيني

تمكث)

وتجمع الشاعرة في قصيدة أخرى ، بين التضحيات والبطولات في انتفاضة
الأقصى، وكلّ قد قدم حياته : شهداء، جرحى، معتقلين، معوقين ، من أجل تحرره:

(أنا فقدت عيني

وأخي فقد يديه وقدميه

وصديقي فقد رأسه

أيها الوطن

إننا نموت

من أجلك

حتى تأت)

وفي قصيدة "جنازة شهداء الأقصى" تؤكد الشاعرة ان استشهاد المقاومين دفاعا عن
أوطانهم، لن يترك الأرض فريسة للعدو، ذلك أن الوطن سينجب المزيد من المقاومين،
طالما أن كفن الشهداء هو علم وطنهم،الذي يناضلون ويستشهدون من أجله، فإنّ لن
يطوى ، ولن يُدفن، ولن يموت:

(وحيث لا

تلف

أجسادنا

إلا بالعلم

عند الوداع

فلن

يعرف

هذا

العلم الاهتراء)

وتضيف الشاعرة:

(العلم

يأبى

إلا أن يرتديك

هكذا

يودعك

الوطن).

وتؤكد الشاعرة ، أن العدو كلما حاول سرقة الوطن ، أو نهب ثرواته وخيراته، فإن
مقاومة السارق تمنعه من تنفيذ ذلك:

(كلما تناول طعامنا

دماؤنا

من يده

تسقط

الملعقة).

وتؤكد في قصيدة أخرى ، أن أسلحة العدو لن تستطيع إخفاء جريمته المتمثلة في احتلال وطن غير وطنه ، وتجعلهم يؤكدون على هذه الحقيقة : ان في استشهادهم وطن لا يرحل بالرغم من المذابح والاغتيالات التي ينفذها الجزار بكل من يحب وطنه ويزرع شجرة وبيننا بيتا ويرفع علما وينجز رداء:

(وأنا المسروق وطنه

وإن أخفتني

رصاصات السارق

في القبر

عبثا

تخفي

بنادقكم

وطني).

وفي قصيدة "عصام حمد" نجد الشهيد بعد استشهاده، وبعد تعرضه لضربات طالت كل أجزاء جسده، ينهض ، ليعطي شقيقته حجرا تقاوم به الأعداء ، وهنا نلتقي بطريقة فنية جديدة، مع قصيدة "أمل دنقل": "لاتصالح" ، ففي إعطاء الشهيد الحجر لشقيقته ، تؤكد ان الاغتيال الوحشي والقمع سواء بكسر العظام او باحراق الابطال بالصواريخ ، كلها تولد المقاومة، فماذا يفعلون بالفلسطيني البطل حين يرفع العلم أمام دبابة ، والبندقية

موجهة نحوه، هذا الألم ، هذا الاغتيال الوحشي اللانساني يولد المقاومة ، ويتكرر
الغضب نفسه في أكثر من قصيدة:

(أين عصام..أين أخي..تردد أخته

جمجمته كسرهما عظمة عظمة

ومنفضة عينه جعل

وأحرق يديه وقدميه

والقاه في الطريق

أقدامي لا تحملني

لالالالا..أهذا بشر؟؟؟؟

وأخي..آه أخي

يداه المحترقتان

تعطيني حجرا).

وتخصص الشاعرة قصيدة للطفل الشهيد محمد الدرة، وقصيدة ثانية لوالده جمال
الدرة، وفي القصيدتين، تبرز الشاعرة لؤم العدو وحقده، إذ لا يرحم لا طفلا ولا شيخا
ولا إنسانا أعزلا، فكل أب أن يتخيل ، مشهد إطلاق العدو النار على طفله، فهي تعمم
محمد الدرة فكل رصاصة قتلته، تكون قد قتلت الجميع، فأصابتهم دونما رحمة:

* يصوب رصاصة على قلب طفل

كيف يستطيع؟؟؟

لكل أب أن يتخيل

طفله يصوب إلى صدره الرصاص

ينظر إلى الصورة مليا

وللابناء إبننا تعود)

ومع أهمية الحالة الاستشهادية الخاصة بمحمد الدرة، إلا ان الشاعرة لا تنسى باقي أطفال فلسطين، فتخصهم بقصائد كثيرة، منها قصيدتها التي تتحدث عن قاتل الاطفال دونما شفقة:

(يقتل الطفلة

يرقبها تموت

ثم يسير بحثا عن طفل آخر)

وفي موقع آخر، تضع الشاعرة الأطفال في قلب الأهل، كي لا يتعرض لهم العدو بمكروه ، فنقول:

(انهم يخنفون في معطفي

هلال وبلال

إنني الازدحام

نرى أي مار أضيع في الطريق)

وتمنح الشاعرة الشهداء عددا أكبر من قصائدها، لتؤكد في كل واحدة منها ، على مكانة جديدة لهم ، فهم الذين دافعوا عن حرية أوطانهم، وناضلوا من أجل أن تبقى حرة عزيزة ، وكانوا الشمعة المتوهجة ، في مواجهة الظلام يقول الشهيد:

(قبل أن يرحل

وطني

إلى

الليل

كنت

الشمعة)

وتضيف الشاعرة:

(أنا إن أرحل

فرحيلي للعلم والكوفية

(بقاء)

وتتطرق الشاعرة ، حين تصوّر القلب وقد تحوّل إلى رماد، من احتراق ورحيل كل

ما يحبه:

(قلوبهم رماد

نوقد لهم

ثانية

النار

في الشارع)

* * *

دمه هو الأفق

والأرض

تقدم له

باقة دحنون)

وفي الوقت نفسه، فإن هذا الورد ، إن تعرض له العدو، فإنه يتكاثر، ويتناثر ، ليشكل

غصة في حلق العدو:

(باقة ورد

يدوسها

فتتناثر)

وللكوادر القيادية مكانة خاصة ، في شعر أمينة العدوان، فهم الضوء ، والأعداء

يطاردونهم، وحين تبحث الشاعرة عن أشخاص يحمونهم، أو سحب تخبئهم، لا تجدها:

(كثيرا ، كثيرا

يطاردون النجوم

هل لا أحد يخبئهم
أين اختفت السحب).

وهنا نقد للموقف العربي المتفرج على الانتفاضة.
وترتبط بالشهداء والجرحى، كوادر الأطباء والممرضين من الجنسين، وكذلك
سائقي سيارات الإسعاف، فهم أول من يعرف الأداة التي يستخدمها العدو للفتك
بالمواطنين العزل، رغم كونها محرمة دولياً، وهو الذين يعرفون أين يوجه العدو
رصاصه القاتل:

(أنا الطبيب

أرى رصاصه لا يطلق إلا

على الصدر والرأس

أنظر إليه

رصاص دمدم ومطاطي

ممنوع عليه أن يطلقه)

وتتساءل الشاعرة عن العدالة المفقودة، إذ أين المجتمع الدولي، وقضاته، وحكامه
الذين يدعو إلى العدل والنزاهة، كيف يغيبون وتغيب القوانين والاتفاقيات الدولية كي
يطلق النار على سيارة الإسعاف:

(علم الصليب الأحمر مزقه

يطلق رصاصاً على سيارة الإسعاف

ممنوع أيضاً هذا

أين القضاة مختلفين)

13. وتتوقف أمينة العدوان ، عند الانتحاريين والعمليات الانتحارية، وترى فيما
يصنعونه رداً وجزاء من نفس نوع العقاب الذي يتعرضون له، فبييت الانتحاري يتحول

على يد العدو إلى أنقاض ، ومحطة العدو تتحول إلى أنقاض على يد الانتحاري، هذا عدا عن الخسائر في الأرواح من الجانبين، تقول أمينة العدوان تحت عنوان "عملية انتحارية":

(بيتي جعله أنقاضا

والمحطة التي أقام بها

أيضا أنقاضا الأكياس السوداء فارغة

في الطريق

تذهب إليها الأشلاء)

14 . وترى الشاعرة (في قصائدها) ، في عودة منظمة التحرير الفلسطينية وكوادرها إلى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وعمل السلطة الوطنية الفلسطينية، على تنفيذ حق العودة، وإعادة بناء ما دمره الاحتلال، وزرع ما اقتلعه وإزالة الحواجز التي كانت تفصل ما بين المواطنين والأماكن التي يبتغون الوصول إليها ، على انها إنجازات وطنية ، تستحق الإشادة ، فتقول تحت عنوان " العائدون":

(العائدون يأتون.. يأتون

وللببوت يبنون حواجز..حواجز

وأنا نعود..نعود

فردا..فردا ونكون

أسرة)

15. وبعد قصيدة محمود درويش "جندي يحلم بالزنايق البيضاء" التي تُبرز بعض ما يكتنف جندي العدو من مشاعر في ساحة المعركة، تأتي بعض قصائد أمينة العدوان لتكمل مشوار درويش في صور شعرية جديدة، تُبدي ضعف الجندي المعادي وهشاشته، مهما تجرّب ، ومهما نفذ من اجراءات عسكرية، مُبدية أن مفعولها عكسي عليه، تقول في قصيدتها" جندي الاحتلال في انتفاضة الأقصى":

(الطرق التي أغلقها بالحواجز)

إن اتكأ عليها

تتدلى يده٠)

وفي قصيدة أخرى، يكون ذلك الجندي في موقف محاسبة الذات، ليشعر أنه مهما امتلك من قوة، ومهما كانت الصواريخ قريبة من يده، ومهما مارس على المدن العربية من حصار، فإنه في النهاية يشعر بالضياع ، وفقدان الدرب، بينما يجمع السكان المحاصرون، عن استعدادهم للمقاومة، تقول أمينة:

(يتكى ذراعه

على صاروخ

في المدن المقفلة

فلا يرى

إلا

أيد تلوح له

وقد أضع الطريق)

وفي قصيدة أخرى ، تروي الشاعرة على لسان الجندي الاسرائيلي جملة الممارسات التي ارتكبتها لتفريغ الأرض من أصحابها، حيث قتل الكثيرين، وأفرغ المدن من سكانها، ومع ذلك حين غادر موقعه العسكري، ضاع بالزحام، وذلك بالنظر لكثرة السكان الأصليين:

(قتلت الكثير ردد

وأفرغت المدن منهم

خوذة خرج إلى الشارع

ولكثرة الاخوان

اختنق في الزحام

16 . وانطلاقاً من موقفها الذي يمجّد المقاومين ، وينظر بعين الفخر والاعتزاز لهم، ولدورهم في التضحية بالذات أولاً ، ثم بالحرية الشخصية، من أجل حرية أرضهم وشعبهم، فإنها تنمى إطلاق سراح الجندي "أحمد الدقاسمة" الذي ردّ على العدوان بالعدوان:

(وهم يطلقون الأحكام

أتذكر من قتلوهم من العرب

وأتمنى قبل أي شيء آخر

أن تكون معي مفاتيح

السجن

وأطلق سراحه).

17 . وتُحيل الشاعرة في بعض قصائدها، المحاكمة الصورية وغير العادلة، التي يُجريها العدو مع بعض رموز المقاومة، إلى محاكمة حقيقية للعدو نفسه، فتذكره في ممارساته وانتهاكاته لحقوق الانسان، وخاصة في مجالات القتل والاعتقال والنفي والابعاد وهدم البيوت، تقول في قصيدتها "الجنرال جمال كحيل":

(ونحن نجلس في هذه القاعة

أطرده من يقول هذا وطني

وليس وطننا لكم

يلقون به خارجا

وسكان من أنقاض البيوت

المنافي، القبور

المعتقلات

يرددون:

القاعة فارغة فارغة

يحملونه إلى القاعة
ويجلسونه على المقعد)

وفي قصيدة أخرى، إدانة ومحاكمة للعدو، حيث تذهب الورقة التي بها انتهاكات
وجرائم الحرب إلى المحكمة لتحاكم وتدين الظلم، والجريمة والمذابح:

(في بيته الذي أفرغه من القضاة العادلين

ذهبت إلى بيته

من المحكمة

ورقة)

وإلى جانب ضرورة محاكمة الظلم ومحاكمة عدم احترام الإتفاقات الدولية مثل
اتفاقية جنيف واتفاقية حقوق الإنسان واستخدام الأسلحة المحرّمة دولياً وقصف البيوت
السكنية بالصواريخ في قاعات المحاكم، تتوقف الشاعرة عند المؤتمرات، وتوصياتها
التي لا تنفذ ، وترتقي بصورها الشعرية ، بتشبيه الكلمات المتداولة ، والتوصيات التي لا
تنفذ في المؤتمرات بالراقصة، ومع رقصها تفقد الأوراق ما عليها من كلام لا يرى
النور، ولا يتحقق منها شيء بالورقة الممزقة:

(على الطاولة في قاعة المؤتمرات

التوصيات لا تنفذ

ترتدي الكلمات

ثياب الراقصة

وتبدأ في الرقص

فيما على الطاولة

يتمزق الورق)

18. تسترجع الشاعرة الأديب الفلسطيني غسان كنفاني، لتؤكد أنه وإن اغتيل،

فسبولد غسان آخر في ضمائر الأحرار والكتاب في العالم، ولن تموت عدالة القضية

باغتياله مثلما يتوهم القاتل فغسان كنفاني هو إلياس خوري الآن ، فهم ، واحد فيما كتبوا عن القضية الفلسطينية، فإنّ قتلوا غسان فهناك إلياس خوري وغيره وغيره من الفلسطينيين والعرب، وتسترجع أيضا الأديب اللبناني إلياس خوري، ورواية "باب الشمس" ، وذلك لما في هؤلاء من دلالات وطنية ، أبرزها حق العودة، وحق التمسك بالأرض، وحق التغني بالحرية ، والشهيد في القصيدة التي حملت هذه الرموز الوطنية كلها، يُغطي قاتله دمّه وأوراقه ، وذلك لما للكلمة من أهمية في النضال الوطني، غير ان مقاوما آخر ، يأتي بكتاب يتضمن كل انتهاكات العدو وجرائمه، أي انه لم يعد بإمكان القاتل والمجرم أن يخفي جرائمه، وهنا تؤكد أمينة على دور الاعلام الوطني في المعركة، وفي فضح جرائم الأعداء:

(هل قتلتم ذلك القاتل

بعد أن غطى أوراقه بدمه والغبار

وأوراقه قبل أن تبعثرها الريح

أجمعها

ما بدأ يكتب

قاتله يجذني أحمله

عن جرائمه

أت له بكتاب

في يده

وثانية يراه قادما)

وتُخصص الشاعرة قصيدة أخرى للإعلام، الذي يفضح جرائم العدو، ولا يتيح لها المجال كي تموت وتدفن في القبر، و يوصل للعالم أجمع، أنباء انتهاكاته ، والأدوات التي يستخدمها لقمع الانتفاضة ، ومنها الرصاص المطاطي:

(ورصاصة مطاطية

ورأسه ، حفرة من دم
صرخات، صرخات
عن جريمته هذه
لتجعل العالم عن قتلته
يسمع أكثر)

20 . وفي شعرها، تتوقف أمينة العدوان عند أدوات الانتفاضة وأسلحتها، تتوقف
عند أدب الحجارة ، مشيرة لدوره في مواجهة رصاص العدو المتعدد الأنواع:

(إشارات

من دمدم ومطاطية

للمارة

وحجارة

ألغت

(الإشارة)

الفصل الثاني

ديوان : جلاجل غرب النهر

يتبين من مجمل القصائد المنشورة في هذا الديوان، أن الشاعرة أمينة العدوان ، قد استطاعت التعبير عن القضية العربية الكبرى، التي تشير إليها كلمة "جلاجل" في العنوان، والتي تعني الأمور العظيمة، والثانية ، أنها تكتب عن شعب يتعرض لإعتداءات يومية متكررة، تؤدي مع مرور الزمن لإضعافه، ولتدمير بنيته التحتية، والمؤسسية، غير أنه يبقى شامخا صامدا قويا، يتحدى ويتصدى بكل قوة وبسالة، لأي عدوان، نجده يُحيل الجرح إلى وصمة عار في جبين المُعتدي، وكأننا بالشاعرة تُمسك بخيط الحراك الاجتماعي والوطني في فلسطين، وتتوقف معه تفاصيله وجزئياته اليومية ، منطلقة من حب هذا الشعب لفلسطين الوطن.

وفيما إذا حاولنا التوقف عند مضامين قصائد ديوان "جلاجل غرب النهر"، فإننا نجدها تدور حول ما يلي:

حب الأرض

تصور قصائد الشاعرة أمينة العدوان ، تلاحم الانسان بالوطن الأم ، وكرهه الشديد للمنفى الاجباري، وحب الأرض، وتفضيلها على الروح، نجد الشعب المقاوم، يضحى

بالروح ، وبكل غال ونفيس كُرمى للوطن، نجده ، ومن الجنسين، ومن كل الأعمار، يتعرض للقتل، وللجرح، وللاعتقال، بكل ما تعنيه هذه الكلمات من ضرر جسدي ومعنوي فتآك ، هذا عما تتعرض له أرضه من جرف ومصادرة، ومنازله من اضرار وتدمير، ومع ذلك نجده يرفض الاقتلاع ، متجذرا في أرضه، يواجه حربا تستخدم كل الوسائل والأساليب لتفريغه منها، وتهجيرها عنها، إلا ان الناس لا تزداد إلا تمسكا بها، انهم مزروعين في أرضهم ، وهنا يأتي دور الشعر، ومن هنا تتبع أهمية ديوان الشاعرة أمينة العدوان، لأنه يوثق للمرحلة ، ويؤرخ لها ، ويسجل ما في داخل المضطهدين والمستضعفين من مشاعر وأحاسيس، صحيح ان الشاعرة تصف وتصور الألم والمعاناة، غير انها في الوقت نفسه تصور شجاعة وصمود الشهداء والأسرى والجرحى وتضحياتهم وهم في قمة الشموخ والقوة والعنفوان.

إن تثبُّت الإنسان بأرضه، دفع الشاعرة لاستخدام وسائل مختلفة ، للتعبير عن تجذُّره والتصاقه الحميم بها ورفضه الإقتلاع، إنه يقول عن نفسه:

(هذه حياتي

أقدمها

شجرة زيتون

أزرعها

أرجو

عدم

إقتلاعها)

المرأة بين انتفاضتين

أدت عمليات الاجتياح الاسرائيلي لكامل الأراضي الفلسطينية ، وما قامت به من انتهاكات للحقوق السياسية، والانسانية والمدنية للشعب الفلسطيني إلى مجموعة من

النتائج كانت لها انعكاسات مباشرة على المرأة والأسرة ، وقد يبدو للبعض أن مشاركة المرأة في الانتفاضة الأولى كانت أقوى وأبرز من مشاركتها في انتفاضة الأقصى، فانتفاضة 1987 كانت قائمة أساسا على أشكال النضال السلمي، والذي يعتمد بالاساس على المشاركة الشعبية، في حين ان انتفاضة الأقصى اعتمدت بشكل مباشر على المواجهة العنيفة (إطلاق الرصاص الحي وقنابل المولوتوف والهاون)، الأمر الذي واجهه الاحتلال الاسرائيلي بعنف شديد مستخدما في ذلك آتة الحربية المدمرة: (الدبابات والمجنزرات وطائرات ف16 والأباتشي) . إن الفارق الكبير في القوة العسكرية من حيث مكان المواجهة من جهة ، ومن حيث التنظيم من جهة ثانية، ومن حيث قوة الآلة الحربية الاسرائيلية المستخدمة من جهة ثالثة ، قد أدى إلى تغير في مشاركة المرأة النضالية، فمن حيث المكان كانت المواجهة في السابق هي داخل المدن، أما اليوم فهي عند أطرافها قرب الحواجز الاسرائيلية ، ومن حيث التنظيم كانت المرأة في الانتفاضة الماضية مشاركة بفاعلية في الهيئات القيادية على مستوى اللجان الشعبية في الأحياء والمدن، ومثلت المؤسسات النسوية أيضا في هذه اللجان ، أما في انتفاضة الاقصى ، ولأن الاعتماد على المواجهة العنيفة ، فهناك ضعف في مشاركة النساء في الهيئات المقررة وقد تكون معدومة، كل ذلك أدى إلى ضعف بروز المرأة في ساحات المواجهة ، إلا ان ذلك لا يعني غيابها عن العملية النضالية. وضمن الدمار الواسع تحولت الكثير من النساء بين ليلة وضحاها إلى ربات أسر ومعيلات وحيدات لأسرهن، حيث ارتفع عدد النساء المعيلات إلى 11% من مجموع الأسر الفلسطينية البالغة 407065 أسرة، كما أدى الاغلاق المستمر للمدن والقرى الفلسطينية إلى تقييد حركة البضائع والمواطنين ، وبذلك تم حرمان الكثير من أسر من مصدر رزقها، فارتفعت نسبة الأسر التي تعيش تحت خط الفقر إلى 66%، وقد ادى انخفاض عدد واسع من الأسر إلى عدم قدرتها على توفير المواد الغذائية الأساسية ، فانخفضت كمية الطعام التي تقدم للأسرة بنسبة 4ر44% ، مما أدى لارتفاع نسبة المصابين بفقر الدم

كما تطلب تدمير المنازل من المرأة جهداً أكبر في القيام بالمسؤوليات الأسرية ،
وأضاف أعباء جديدة لها وبشكل خاص بعد تخريب كل المقننات كالثلاجة والغسالة، هذا
الواقع الجديد تطلب من المؤسسات النسوية برامج جديدة تمكن المرأة المصابة،
والاطفال من التعامل مع الأزمة وعدم الانهيار، باعتبار ذلك أمراً ضرورياً لاستمرار
المقاومة ولتحقيق الصمود على أرض الوطن، فبالإضافة إلى ضرورة توفير مواد
أساسية تمكن الأسرة من مواصلة الحياة، فإن تدريبات خاصة للنساء يجب أن تتم كي
تتمكن من التعامل مع زوجها الذي فقد عمله أو أصيب بنوع من الإعاقة ، كما تحتاج
المرأة وأطفالها إلى إرشاد خاص للتعامل مع فقدان الأعمام والأب والابن والزوج،
والإخ ، وخاصة وأن هذا الفقدان كان نتيجة عنف مفزع من قبل قوات الاحتلال ،
وبعض أفراد الأسرة شاهدوا مباشرة التدمير والاستشهاد.

المرأة والشعر

و يُلاحظ من يقرأ ديوان "جلاجل غرب النهر" ، أن الشاعرة تصوّر المرأة وعند
الفقدان ورحيل الأبناء ، والمرأة الشهيدة التي تُقتل وهي تنسج أثواب فلسطين، والمرأة
المقاومة ، والمرأة التي فقدت الأخ أو الزوج ، تصوّرُها وهي تحمل الحجر وتقاوم،
تحمل الحجر بعد رؤية بشاعة الظلم والقتل والتعذيب الذي يمارسه العدو ، المرأة التي
تبحث عن رحل، وتجده في جموع المشيعين

تقول الشاعرة في قصيدتها "الشهيد":

(يسير معها في الغرف

بالرغم من انه رحل

لاتنسى أنه

ما زال يحرس النوافذ

يفتش عن الأبواب)

وتقول الشاعرة:

(الذي ذهب ولم يعد

في دموعي

كثيرا ما يأتي)

وتضيف:

(ها أنا أفقد أبنائي الأربعة

وهواء ذهب

أختنق

وهواء لا يأتي)

وتقول:

(أنت تأتي بأردية

للطفلة

وتقول

رداء الموت

أرتدي)

الأطفال

وقد أثار الاجتياح الاسرائيلي للمدن والقرى الفلسطينية الفزع والخوف عند الأطفال، وعدم الثقة بقدرة من حولهم على حمايتهم، وانعكس ذلك سلبا على تحصيلهم الدراسي، واتجاهاتهم وسلوكهم اليومي، حيث يعاني الكثير من الأطفال من القلق والكوابيس أثناء النوم، وفقدان الشهية للطعام، وافتقاد الأم، هذا بالاضافة إلى رغبة بعض الأطفال

بالعزلة، والبكاء المتواصل ، وارتفاع درجة الحرارة ، وضيق في التنفس ، والعناد والعنف، كذلك تعاني الكثير من الأسر من عدم قدرة الأطفال على التركيز في الدراسة، والنسيان، وهذا يعني جهدا إضافيا في تربية الأطفال والعناية بهم ورعايتهم وتخفيف مظاهر التوتر النفسي التي يعانون منها. هذا الواقع، جعل الشاعرة تتحدث في ديوانها، عن معاناة أوسع مدى مما قد يطيق البشر، وعن آلام قد لا يتخيلها أي إنسان، انها الحرب التي لا تقتل الرجال الأشداء فحسب، بل التي تقتل الأطفال أيضا، وليس الأطفال فحسب، بل تُطيح حتى بألعابهم وهي في أيديهم، وهذه صورة شعرية ، التقطتها أمينة بكل إباء وكبرياء، وأعدت صياغتها شعرا:

(صرخة رعب من طفلي

ها هو صاروخ يقتلها

يمزق جسدها

ومن يدها ألقى اللعبة)

وفي خطوة أكثر تقدما على الصعيدين الموضوعي والجمالي في شعر المقاومة، توضح أمينة ، أن الحرب التي لم تكتف بقتل الآباء والأطفال ، بل تؤدي إلى قتل الأمومة في أبهى صورها، وذلك بعد أن تفقد الأم طفلها الذي حملته من قصف صاروخي ، وما زالت تحمله :

(رحل ابنها الذي حملته

طويلا، طويلا

ولن تحمله الآن ثانية

وضائعة يداها)

وفي صورة شعرية ثانية، تستخدم الشاعرة "كاف التشبيه" ، لتنهض بالأطفال الشهداء من بعد موتهم، لكي يعيدوا الصواريخ التي أطلقها العدو عليهم إلى نحره:

(إن الأطفال يموتون في أسرتهم

وهم يتفرجون
كأنهم يحملون الصاروخ للقاتل
ويضعونه في يده)

وتُبدع الشاعرة ، وتقدم أكثر ، حين تتحدث عن الأطفال، في لحظة تعرضهم
للاغتيال وقصف البيوت السكنية وفقدان الآباء والامهات والمأوى، أي اغتيال الطفولة ،
هذا الموت، انه الموت، المحتل، حيث تشاطرهم الطبيعة حزنها، وتبعث من حدائقها
أزهارا ، تذبل حينما يقتلون ويفقدون آباءهم وأمهاتهم:

(هو لا ينصرف قبل أن يأخذ أبناءه

معه

قتلى

أي قلب

لنا أبقى)

وتقول:

(تنظر إلى أمها

التي ثقب رأسها الرصاص

ترى الخضرة تحتجب

والصحراء تأتي

فتبكي الطفلة

تبكي.)

وتضيف في قصيدة أخرى:

(وصوت قذيفة أسمع

الطفل قتل قبل أن يسير

والزهور الذابلة

نامت في سريره الصغير)

ويزداد المشهد دموية، حين تنظر الطفلة إلى أمها، وتبكي بكاء مرا، بعد أن رأت
رصاص العدو يثقب رأسها .

الشهداء

وتأكيد للعلاقة بين الشهيد وبيته ووطنه، نجد الشاعرة أن الوطن يحفر اسمه على
جدران بيته :

(على جدران بيته

وضع الوطن

إسمه)

وأمام الذين يتحدثون عن القصيدة القصيرة جدا، القصيدة البرقية، القصيدة المكثفة،
نجد كل البلاغة تلتئم في كلمات هذه القصيدة الست ، حيث تلتئم العلاقة بين الأرض
والبيت، إن في هدم البيوت فقد للمأوى ، وللوطن، الحرب الكتابة على الجدران من أجل
الحفاظ على الوطن والهوية ، والحرب من أجل تأنيث المنزل لا هدمه ، هي حرب
المقاومة-فحرب الشهيد هي من أجل بناء الوطن الفلسطيني لا هدمه، وحرب الشهيد هي
مطاردة القاتل لكي لا ينفذ جريمة اغتيال، فالشهاد هو الوطن ، والوطن هو الشهيد .

ف الشهداء في شعر أمينة العدوان يطاردون القاتل، ذلك أن جندي العدو الذي
يتسبب في الاستشهاد، لن يرتاح بعد إلحاق الموت بالآخرين، إذ ان الظلم يؤدي إلى
حرب ومقاومة تؤدي بالقاتل إلى القبر

(موته لقاتله

فتح القبر).

نعوش

وحتى نعش الشهيد له مكانته، وله دلالاته الوطنية السامية، وذلك لتضمنه أكرم وأنبل بني البشر ، ولتجسيد ذلك، تقول أمينة ، شعراء، إن النظرة للنعش، ولها إجلال وتقدير ، يتطلب حتى من الناظر له ، أن يرفع رأسه ، تعبيراً عن الكرامة، البطولة والتضحية ، والحرب لتحرير الوطن وعدم دفن شعب ووطن:

(نعوش)

لكي أنظر إليها

أرفع رأسي)

الشهيد .. وعناصر الطبيعة

وفي صيغة أخرى ، الأرض هي الشهيد، والشهيد هو الوطن:

(الشهيد هو الوطن

ان من قتل أبي

قد قتل الوطن)

وتضيف الشاعرة:

(الأرض تسير إلى

الشارع

وبيدها

ترفع

النعش .)

وتتوقف الشاعرة عند "الشارع في الانتفاضة" ، لتقول شعرا، ان دماء الشهداء
الغزيرة ، فيكونون المرأة التي تُظهر وتُبدى وتعكس غضب الشارع العربي:

(ما هدر من دم في شوارعنا
وما رحل من كائنات من بيوتنا
يرونه في
وجهي
فأنا مرايا المشيعين).

وفي موقع آخر، تتجدد الحياة بالشهداء، ان الشهيد هو الكرامة، وليس الذل، وليس
الانحناء، إنّ الشهيد هو الحرية وليس الاستسلام للعبودية والظلم والابادة، وهو السور
العالي وليس الاستباحة للوطن ، والكبرياء القومي للأمة ، وليس الاستكانة والظلم:

(حين نرفعهم
شهداء
تأتي
الأكتاف)

وحتى لحظة الاستشهاد، فهو استشهاد عز وفرح ، صحيح انه استشهاد، ولكن قبضته
ما زالت مرفوعة في وجه قاتله ، تقاوم الجلاذ والمذبحة والابادة والاغتيال، بالرغم من
الكارهين، ان الشهيد هو ضمير الأمة القومي، أمام من يرحل بالضمير.

(صورته التي أحملها
تمثل يدا لم تطو
قبضته في وجه قاتله، ترفع)

إن الشهيد والمقاوم هو النافذة والباب أمام الأسلاك الشائكة، والحواجز، والقضبان، والقيود، هو البحر في الصحراء، هو النافذة في الزنزانة، انه رمز الحرية لا العبودية ، لا القيود، فالنوافذ والأبواب رمز الحرية ، رمز لحرية الإنسان والوطن معاً. ان المقاومة حرب تحرير، تقول تحت عنوان " الشهيد":

(هكذا ودعها

سار معها في الغرف المغلقة

يفتش عن النوافذ)

وفي قصيدة أخرى:

(تردد أنها تذكره

ما زال يسير معها إلى الغرف

المغلقة

حاملا الأبواب)

وفي قصيدة أخرى:

(حين اوميء له بيدي

وداعا

أرى يدي ترحل معه وتختفي.)

أزهار .. لا تذبل

جنازات الشهداء، التي تجمع كل هذه الكثرة من المشيعين، كفيلة بأن تُشعر المشاهد

حب الشهيد فهو رمز تحرير الوطن ورفض رحيله:

(بعد كل جنازة

يا شهيد

يا حبيب

كلهم باقة زهور واحدة

لا تقبل الذبول)

عقوبات جماعية

المآسي ، صوّرتها الشاعرة كما هي في الواقع بصيغتين: صيغة المعاناة الفردية، وصيغة "العقوبات الجماعية" ، وفي شعرها ، تخصص لكل واحدة من هذه الانتهاكات والاعتداءات الاسرائيلية قصيدة خاصة ، وعندما تكون الانتهاكات بالجملة، تُبدع أكثر، في التعبير عن أثرها النفسي، وفي قصيدة واحدة أيضا، لدرجة أنها تُحرك الجمادات لتتعاطف مع الانسان، وليتخيل القارئ كيف تنحني الجدران على موتاهها، وكيف تسير نحو جريح في السرير، أو نحو محمول إلى القبر، تبين ان الجريمة والمآسي التي أتى بها الاحتلال، ومقاومة السكان لهذا الموت الذي يسير في الدبابه ، مقاومة بالرغم من الجميع ، إن تدمير البيوت لن يثني عزيمة أصحابها عن العمل على إعادة بنائها، وأن التشبث بهذه البيوت حتى في حالة الاستشهاد، كفيل باستمرارية الحياة والمقاومة على الأرض:

الجدران انحنى على موتاهها

ثم سارت نحو جريح في

السرير

أو من حمل إلى القبر

البيوت وداع

والكائنات بقاء).

بكاء .. أول منزل

وفي صيغة أخرى ، تشارك الغرف والجدران ، في البكاء على الشهداء:

(الغرف تبكي

والجدران تبكي والكائنات دموع)

خلود .. في مواجهة الإبادة

ان الشاعرة تصرّ على أنه مهما بلغت درجة عدميته، ستكون فيه الحياة، وسيبقى هنالك نفس ، يشكل خطرا على العدو، ويشير في الوقت نفسه إلى انه كانت هنا ثمة حياة، امتزج فيها الخلود والبقاء ، في مواجهة الإبادة:

(هذه قذائف على البيوت

وهؤلاء أبناي

وفي البيت الذي انهدم

ورحل أبناؤه

أقام الرماد).

أغلى ما تملك البيوت

وفي صيغة أخرى، تؤكد الشاعرة ، أن كل البيوت تستقبل الشهيد، فهو ضمير كل مواطن وما يعانيه من الاحتلال، فهذا وطنه وليس وطنهم ، هم من سرقوه ، وهو يحارب لاستعادته، وهو من يستحق البقاء فيه:

(لا بيت واحد له

إذا زارته

وحده

من

يمكنث

في

كل
هذه
البيوت).

تداعيات زوجات الشهداء

وفي قصيدتها "تداعيات أرملة شهيد"، تعبّر الشاعرة عن آثار الفقد والألم ، على من تبقى من الأجزاء من أقرب الناس للشهداء، فهذا البطل لا يُلقى بلا أهمية، لا يُلقى إلى العدو بسهولة ، والشعب لا يتخلى عن الأبطال، ولا يذهب دمهم مجاناً، هنا كل الشعب الشهيد والمعتقل ، إن رحيلهم رحيل بالحرية وإبقاء للعبودية:

(أغمضت عيناك

ما أكثر ما تؤلمني

هذه الاغماضة).

كلما مرّ شهيد أو جريح في الشارع

أزاحت أسلحتهم أقدامها

الشهيد

لعلك

نافذة

ذهبت

أو باب

* * *

إنني لم أفعل

إلا أن رفعت

يدي
التي تضغط
على عنقي
أو أختنق

* * *

الشهيد
موته الذي
أفرغ الغرف
يأخذ أنفاسي
متألماً باكياً
وحيداً
إلى غرف
بلا نوافذ
أمضي

وبعيداً عن المباشرة، وفي صورة تنقل الشهيد من فرد خاص إلى شعب بكامله،
العدو عندما يطلق النار على المقاومين ويقتلهم، يكون قد قتل الشروق ، أما الشهيد فإنه
حين يرحل، يرحل معه الظلم ، ويأتي بالفجر وبالحرية أما العدو فيأتي بالعجز، واليأس ،
والعبودية

(في رحيله
أرى ما يشبه
بزوغ الشمس
دعوة للفجر أن

يأتي)

إن الشهداء هم فلسطين، والشهيد ليس كائنا واحدا ، وليس فردا ، وفي القصائد هو الوطن وهو رمز للحرية وللتحرير:

(يحلون أبناءهم المقتولين

ويدفنونهم ويحملون صورهم

صور تنادي على الوطن

وتموت من أجله

عن الوطن ..تتحدث

إلينا هذه الصور)

* * *

الشهداء : بين الغياب والحضور

ان الشهيد ما زال على قيد الحياة ، فتحيل الذكرى إلى واقع، والغياب إلى حضور:

(رحل

وفي الذكرى حياة

غائب

عاد

ويعود في

زيارة للمنزل).

حب الوطن للشهداء

وللتعبير عن حب الوطن للشهيد، وتعلق كل منهما بالآخر، والشهيد هنا رمز للوطن "حرب تحرير" ، ولم يعد فردا مات أو مضى، انه الضمير الذي لا يموت ، الذي يقيم

• في كل البيوت

(لا قبر له

ووحدها

البيوت

تدعوه)

وبالنظر إلى كثرة عدد الشهداء، وبالنظر إلى ما خلفوه من ألم في ذويهم بعد استشهادهم، فإن الأحياء يؤكدون عدم نسيانهم لمن رحلوا، وبالدور الذي أدوه من أجلهم، ومن أجل وطنهم، هنا الألم على رحيل أفضل الرجال ، ويؤدي رحيلهم إلى خسارة فادحة للوطن، انهم مهمون ، ولذا يصطادهم الأعداء، فهذه الحرب مستمرة ومخططاتها ما زالت تجري:

(نحمل صور من

قتل منا

عمن فقدناهم

عن أفضل الرجال

نتحدث

بألم)

مقاومون .. بأسمائهم

وتخلد الشاعرة أيضا مقاومة شباب الجيل الحالي للعدو، تذكرهم بالأسماء، وتصف إنجازاتهم البطولية، وللموت الذي سيلحق بكل من يقف في وجهه ، تقول في قصيدتها

التي تحمل عنوان "الشهيد ماهر ابوسرور" ، هنا المقاوم يرفض أن يكون الضحية ،
لسنا خرافا للذبح ويغيّر المشهد:

(أعيد إليه قنبلة الغاز

التي ألقاها على الجندي

هل رأى

الآن

يدي مثل يده

ألم لم ير بعد، هذا الجندي).

قادة النضال الوطني

وانطلاقاً من ثقافتها الوطنية ، ومعرفتها بالوقائع التاريخية ، وقدرتها على تخليد
أسماء مناضلين ومقاومين جدد، نجدها تسترجع أسماء قادة النضال الوطني، المناضل
في الانتفاضة استنساخ للشهيد عبدالقادر الحسيني، هل ماتت القضية ، هل مات الشعب
الفلسطيني، حين اغتالوا عز الدين القسام وعبدالقادر الحسيني ، اعتقدوا أن النضال
توقف، وأن فلسطين رحلت، نرى خلاف ذلك؟ إننا نرى الآن الأسرى والجرحى
والشهداء والمناضلين من مثل الشيخ أحمد ياسين، والرئيس ياسر عرفات، وابو علي
مصطفى وغيرهم كثر:

(إنني عز الدين بن القسام

وعبدالقادر الحسيني

أولد

وهو لا يريد مثل

هذه المواليدي).

الجرحي

أما الجريح، فله شأن آخر في هذه الديوان، فهو رمزا للمقاومة، ورحيل للظلم وللاحتلال:

(جرحه ما زال يتدفق بالدم

فهو الجراح

ويركض إليه المقص)

الصحفيون

وتبين الشاعرة دور الصحفيين المهم، وتضحياتهم، وموت عدد كبير منهم، فهم يضحون بأرواحهم، لكي يطلعوا العالم على جرائم العدو، الذين لم يتوان عن الاعتداء عليهم، قاتلا بعضهم، وجارحا الآخرين، كي لا ينقلوا الحقيقة، فهو على رأي الراحل "مؤنس الرزاز": "كاتم صوت":

(صواريخ أتى

حاملها إياها

لكي تمزق أوراقي

وتكسر قلبي)

هنا قلب الحقائق، وتزييف الواقع، وتزوير التاريخ والجغرافيا وهنا دور الصحفي مثل الفدائي، دور مقاتل ضد الجريمة والأكذوبة

وعدا عن ابرازها لدور الصحفيين الذين قاموا بعملهم بين الرصاص والقنابل والدخان، بين الموت والحياة في الانتفاضة، لتبين كيف تم اغتيالهم، وأي الجرائم كانوا يُغطون لحظة استشهادهم، تقول أمينة تحت عنوان "ام الصحفي الشهيد هيثم الاسكافي":

(وأنا أغلق باب غرفته

إلى الأبد

سارت أوراقه

خارج الغرفة)

إن الصحفي الفلسطيني وإن اغتيل ، أو بقي على قيد الحياة، تبقى القضية التي كتب عنها للعالم ، ولا تموت ، وهنا تبرز أهمية الكلمة في نقل الظلم، وإطلاع للعالم على ما يجري ، ومحاربة الإعلام الكاذب، وتقول الشاعرة:

(إن قالوا فلسطين اسرائيل كذباً

ما دورك

أن توافق على رحيل وطنك

أو أن تقول للعالم

بالأغنية والمقالة والقصيدة والصورة

ان فلسطين عربية

وهذا كان دور الإعلام والاغنية والقصيدة والمقالة.

المصوّرون

وإلى جانب الصحفيين ، اهتمت الشاعرة أمينة العدوان، بالمصورين، باعتبارهم الذين يوثقون لجرائم الاحتلال، وينقلونها للعالم، كي يتابع اولا بأول انتهاكاته، متيحين الفرصة لأي جهة دولية معنية بحقوق الانسان كي تتدخل، وتوقف المجازر:

(كان قتله

حقيقة

لو لم أحتفظ

بالصور)

الإبادة الجماعية

يقول الدكتور غازي حسين في كتابه (العنصرية والابادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية) الصادر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق يقول (صفحة: 391-491) (يسيطر مفهوم الابادة الجماعية للشعب الفلسطيني والعرب على التفكير الديني والسياسي والعسكري للأحزاب والحكومة والحاخامين المجتمع الاسرائيلي).

وتعود جذور الابادة الجماعية للفلسطينيين والعرب إلى الفكر والممارسة في التاريخ اليهودي ، ويشمل مفهوم الابادة الجماعية ارتكاب المجازر الجماعية والحروب العدوانية وتدمير القرى والمدن والمنجزات العربية، واتباع سياسة الأرض المحروقة ، ومصادرة الأراضي العربية وتهويدها ، واتباع سياسة التصفيات الجسدية بأحدث الطائرات والصواريخ ،ويستخدم العدو فرق القتل السرية التابعة للجيش وعمليات القصف العشوائية لقتل الأطفال والنساء في منازلهم وغرف نومهم، وسخرت الأسلحة الكيميائية والبيولوجية واليورانيوم المستنفد ، وحقن أطفال الانتفاضة بفايروس الايدز ، وإجراء التجارب الطبية المحرمة دوليا على رجال المقاومة للتخلص من الانسان الفلسطيني ومنع تكاثره.

واستخدمت الحروب العدوانية ، وعمليات القتل والتدمير بالقنابل الانشطارية والفسفورية والفراغية لآبادة أكبر عدد ممكن من العرب ، واتبعت سياسة الأرض المحروقة ، وتوجيه رصاص الجيش إلى العين والرأس والقلب ، مما يعبر عن حقد وكراهية وهمجية الجندي ومعاداته لأبسط المفاهيم الانسانية والحضارية وتقاليد وأعراف الحروب.

وترمي من استخدام الأسلحة والذخائر المحرمة دوليا إلى إبادة الانسان الفلسطيني وتعرضه للمعاناة الدائمة والخطر المستمر ، وتلويث بيئته لمنع تطوره وتقديمه.

فالجيش والمجتمع الاسرائيلي يتعامل مع الانسان الفلسطيني من منطلق إبادته والقضاء عليه أو ترحيله من وطنه لفسح المجال أمام تجميع يهود العالم في وطنه فلسطين ، وينطلق اليهودي مع العربي من منطلق عدم الاعتراف بوجوده وحقوقه في أرضه ووطنه وإنكار حقوقه الوطنية ، وحتى حقه في الملكية ومصادرة أراضيهِ وإقامة المستعمرات اليهودية عليها ، وبالتالي يتعامل معه من منطلق الحقد والكراهية والرفض لوجوده للاستيلاء على أملاكه وأرضه وترحيله منها، مما يظهر بجلاء نفسيته المريضة الراضية لأبسط الحقوق والمبادئ الانسانية).

إن من يقرأ شعر أمينة، يفهم بشكل تلقائي ،ان جبهة العدو مشتتة ، مُجمعة على الفتك بالشعب الصامد، ومن هنا لا نجد لها تجيد إلا القتل، وإطلاق الصواريخ التي لا تحمل في طياتها إلا القتل والدمار والارهاب والخراب، لدفع الناس إلى خيارين لا ثالث لهما، إما الموت، أو الإقتلاع ، ولأن هذا العنف صار متكررا ، إنها هنا تصور الجحيم الذي يأتي به الاحتلال ، حيث الزائر هو القتل والموت والاغتيال، الزائر ملك الموت ، الاحتلال، هذا التابوت، هذا الجحيم، فلتبتعد هذه جميعها

(لا نسمع إلا هدر الصواريخ

دون أن يكون إلا هو

زائرا للبيوت

قاتلا؟)

هدم المنازل

ومع كثرة عدد القصائد التي كتبتها أمينة العدوان حول هدم البيوت، إلا أن كل قصيدة منها ، تحمل في طياتها تجديدا يختلف عما سبق، ففي لقطة جميلة منها، يُنبه صاحب المنزل المهذوم عدوه، بأن الطيور أيضا لها حصة في المنزل، الذي ما إن

يهدمه، حتى يجرمها من أعشاشها، وعندئذ تكون لها معاناتها التي تشاطر الإنسان عذاباته:

(أين أقيم

ولما منزلي الذي أوي إليه هدم

حتى العصافير لها أعشاشها

ألا يعرف ذلك؟!.)

وفي تحدٍ أكثر شدة و عنفوانا، تؤكد الشاعرة ، أن الشعب عاشق ومحب لأرضه حتى الموت، لا يرحل عنها ، ولا يغادر بيته، إلا في حالة الاستشهاد، وبعد أن يخلد على جدران منزله، ويترك عليها للأجيال المقبلة، وفي مواجهة الأعداء ، علامات الصمود والاباء والتضحية:

(هكذا أخذ بيوتنا

على حجارتها البيضاء

ترى دماءنا).

الرصاص الذي قتله

يتجول في الغرف

ولم يعد يقيم

إلا

قاتلاً في بيتي

هنا نرى سرقة البيوت ، لم يستسلم السكان ، بل دافعوا عنها ، وضحوا بدمائهم ، هنا المقاومة، كلما حاول العدو أن يأخذ شيئاً ليس له.

وفي بعض القصائد ، تصوير للمعاناة، بعد أن يُهدم البيت ، ويترك العدو سكانه في

العراء، حيث ترحل الجدران:

(لاسقف، لا باب، لا نافذة)

أبقى

يأتي

برد..في الشتاء القارس

طاردا الجدران)

هذا هو تأثير هدم البيوت ، فالعدو هنا قتل هو البرد القارس في الشتاء.

محاكم وهمية

وفي الوقت الذي تواكب فيه الشاعرة العمليات العسكرية المعادية، والتي تؤدي إلى قتل الأبرياء الآمنين، وتُبقى وراءهم أرامل وأيتاما ومعذبين، تُشير إلى دور المحاكم العسكرية المعادية في ترسيخ الظلم والزور والبهتان ، وإلى دور القضاة العسكريين فيها، في إطلاق الأحكام الكاذبة والظالمة، التي تكمل دور آلة الحرب التدميرية، وتُقر إجراءاتها، بل وتُضفي الصبغة القانونية عليها، في الصورة الشعرية التالية ، تجديد آخر من أمينة، يُبدي جلباب القاضي "الذي يتصف بالكذب" كائنا حيا يجر دموع الثكالي:

(جرائم

لم يسلم أحد منهم

أرامل..ايتام

يجر

دموعهم

جلباب

قاص

كاذب)

ان من يحاكم جرائم الحرب، ومن يحاكم الذين يدوسون على على القوانين الدولية، هو قاض كاذب ، يقف مع الظلم ، ضد العدل، ومع الباطل ضد الحق، ومع الأكذوبة ضد الحقيقة .

العالم .. وجرائم الحرب

وللتعبير عن رفض الشاعرة إلى تحويل قضايا القتل والتدمير التي يرتكبها العدو، إلى أوراق محترقة، يتم تداولها في الفعاليات الدولية، تحت أسماء مختلفة، منها وصفها بأنها "جرائم حرب"، ومن ثم يتم حفظها في ملفات ، يتم إحراقها، إلى جانب ما يتم إحراقه في أثناء الاعتداءات المختلفة، الذهاب لدم الذين استشهدوا ، ولتمكين العدو من الاستمرار في إجراءاته وانتهاكاته:

(الأب والزوج والأخ والأم)

الذين قتلهم

ولا باب أبقى ولا عائلة

وجعل أيامها ألما وحرنا

إنه جريمة حرب

ملف لي

أضعه مع البيوت المحترقة

وأحرقه

يقول القاتل)

مقاومة

وتختصر الشاعرة حالات الاشتباك مع العدو، سواء كانت بالأسلحة أو بالاعلام، لكي تُلحق الهزيمة بالعدو، والانتصار لخصمه الأعزل..المقاومة هنا من كثرة الضربات

التي يراها من المحتل، المقاومة تجيب، لكي لا يرحل الوطن ولا المواطن ، ولكي لا يكون المواطن موتا أو هيكلًا عظيمًا أو جثة:

(وأنت تأتي الوجوه لكلمات

لكماتك

حتى لا أترنج

بعد

قليل) .

الشارع

جرحي

وشهداء

وعلى القاتل

تهبّ عاصفة

الهجرة المعاكسة

وكلما اشتد الخطب، وازدادت الظلمة، وكلما أمعن العدو في عملياته ، التي تشمل رجال الجيش والأمن إلى جانب عصابات المستوطنين ، نجد الشاعرة تُذكر بالمقاومة ، ودورها في إجبار الأعداء على الرحيل ، بل على الهجرة المعاكسة، المقاومة أفقدت الاسرائيليين للأمن، الأمر الذي جعل كثيرين من المستوطنين يرحلون ، مثلما انسحبوا من غزة ، والذين لم يرحلوا صاروا يفكرون في الرحيل:

(جعل المستوطن

يحمل جواز سفره

وختم جوازه

بالرحيل).

ولأن الشعر لا يحتمل موضوعات الانشاء، ولا الإطالة والاطناب والاسهاب، فإن
الشاعرة تختصر على العدو إجراءاته وإن عددت له بعضها، فمقاومة السكان لهذا
التعسف والقتل والظلم، الضحية ترفض الذبح، وهنا رفض أن نكون ضحايا فقط،
ضحايا معدة للذبح فنقاوم الجلاد:

(كم ألفا من الجنازات تسبب

كم ألفا من المنازل هدم

والصواريخ التي ألقاها

وطائرات إف 16

التي قتلت الأطفال

وقتلنا

لا أحد يوقفك

أنا سأوقف هذه الجرائم

وأراك

تحمل جرحاك.. وقتلاك

في سيارة

إسعاف)

الأوضاع الاقتصادية

وتتوقف الشاعرة عند القطاع الاقتصادي، وانتهاكات العدو له، لتجويع الناس،
وحرمانهم من مصدر قوتهم ورزقهم، فاقتلاع الأشجار، ورفض التصدير، وتجويع
السكان، ومحاربتهم في رغيف الخبز

(تقتلع أشجار الزيتون

تأخذ حبة زيتون من فم الجائع
هذا ما يقوله المزارع).

ان رفض العدو تصدير الكثير من السلع أدى لاتلافها وتدميرها ، وتدمير الاقتصاد
والزراعة والمزارع.

(حجز سلعي على الأرصفة
ولم تعد في الأسواق
والأرصفة وحدها تشتري).

وأيضاً تتوقف الشاعرة عند سياسة إفقار وتجويع الشعب:

(نفقت الأغنام
أي سموم وضع لها
لكي يصيب الجوع - الراعي)

الموقف العربي

وتُخصّص الشاعرة عدداً من القصائد لنقل الموقف العربي من الانتفاضة ، التي
ترى عبر الفضائيات من الانتهاكات ، دون أن تحرك ساكناً، وتصفها بالبلادة، فالذين
يستجدون لا يجدون من ينجدهم، والذي يطلبون من الدول العربية أن تنقذهم،
يُصدمون لأنه لا تنقذهم، ويفتقدون للمشاركة العربية، فتزداد لديهم مشاعر الاحساس
بالألم، أو بخطورة المرحلة، وبضرورة التحرك في وجه تيار المهانة والظلم وإذلال
العرب، ، نقرأ في كلماتها التالية ، قول الشاعر العربي منذ النصف الأول من القرن
العشرين: (أفيقوا..استيقظوا أيها العرب..فقد طمى السيل حتى غاصت الركب..) وقول
الشاعر: أخي جاوز الظالمون المدى..فحق الجهاد وحق الفدا) ، تقول أمينة:

(صرخات ، رعب، غضب، حزن)

ولا أحد يسمع

كأنه ازداد الصمم.)

وتدين الموقف العربي الذي لم يشارك في الانتفاضة الأولى ولا الثانية ، وتدين الذين لا يُساعدون أشقاءهم، ولا يقفون إلى جانبهم في ساحات الوغى، أو عند الشدائد، وترسم لهم صورة كاريكاتورية تذكرنا باللسعات الحادة التي وجهها "ناجي العلي" لهم قبل رحيله:

(أخي يقتل)

أراه يموت

أهز كتفي

لا مباليا

لن أساعده

أخاف أن أقتل

أو أموت

يا لي من جبان)

وتنتقد الشاعرة في قصيدة أخرى الأشقاء الصامتين على جرائم العدو، والذين لا

يحركون ساكنا لنجدة أشقائهم:

(وأنا أقتل)

يصمت أخي

لقد أصبح

أخرس..أخرس

أخي)

وفي سياق نقدها للسليبيين والمتخاذلين، تعقد مقارنة خفية بين دم الشهداء المسفوح في الطرقات، وبين اللامبالاة واللهو والغيوبة التي يعيشها المواطن العربي إلى أين ستؤدي ، إلى إحتلال مدن عربية أخرى:

(حمراء قانية هذه الطرقات

من دمانهم

وأنا أشرب النبيذ).

وفي سياق فقدها للموقف العربي من الانتفاضة ، تلخص الشاعرة هذا الموقف بأن كثيرين فقدوا قدرتهم على التأثر أو الاستجابة، أو النخوة:

(أوراق تنادي

والقارئ أصبح

أيضا

لا يقرأ)

إن نقد الموقف المتفرج، وقولها في إحدى قصائدها (كأنه ما في عرب) يذكرنا بمقالة للأديب الأردني الراحل مؤنس الرزاز ، نشرها في جريدة الرأي بتاريخ 1002/8/2، قال فيها: (الشعب الفلسطيني في مصيدة ، القتلة يمارسون هواية القنص يوميا ، والأمة تتفرج عاجزة ،

الجواسيس

ولأن استقواء العدو على الشعب يعتمد في كثير من حيثياته على بعض ضعاف النفوس، الذين يؤازرونه، ويساعدونه في تنفيذ مخططاته ، فقد انتقدت أمينة العدوان الواشين، واعتبرتهم العيون المتقدمة للعدو، والتي تطلعه على مواقع المقاومين ، حتى لو كانوا في بيوتهم آمنين، أو ضائعين على الأقل ، عن عينيّه، تقول تحت عنوان "الجواسيس":

(هم)

من وشى بنا

وضع عيونهم

في حقيبتة

وفي بيوتنا

وضع الحقيبة)

وفي قصيدة أخرى ، تُنذر الشاعرة الجاسوس، وتبشره بموت أسوأ من الموت الذي ألحقه بالشرفاء من أبناء شعبه، معتبرة ان قبول الجاسوس بهذه المهنة بمثابة قتل له:

(الجاسوس

أخذ سلاحه

من غرفتي وقتلني

ترى كيف

سيقتلونه

(اليوم)

وتشجب أمينة العدوان الجواسيس بشعرها النقدي، بل وتكشف تفاصيل الصفقة التي

يعقدها مع الاحتلال للفتك بالمقاومين:

(يعطي الجاسوس

سيارة مفخخة لمناضل

لكي يحترق

وبسيارة إطفاء يأتي ثانية

ولا يرحل بالحرائق)

الجنور الدينية

وتربط الشاعرة بين الجيل المقاوم، وبين جذوره الدينية والشعبية، فارتداء الاخضر، صار منذ أيام صلاح الدين الأيوبي، علامة ترتبط بالخصب وتجدد الحياة، ولبسه في حالة الاستشهاد، يقدم للعدو النتيجة التي أرادها معكوسة، فبدلاً من تكريس الموت كنهج، تنكس الحياة وتتجدد عبر حناجر المشاركين في الفعاليات الشعبية، وهم يرددون:

(لا اله إلا الله

مناديل خضراء تلف رؤوسنا

لا تقبل الطي)

وتصور الشاعرة الأخ يُقتل بالصواريخ، ويتحول إلى أشلاء، وأخوه العربي يتفرج، ولا يبالي من قد يرقص ولا يشارك، هذا الموقف العربي ما زال مستمراً: الذي نسي مقولة "أكلت يوم أكل الثور الأبيض".

(أصرخ وأنا أسمع قصف

طائرات إف 16، أباتشي

يا عرب

انهم يقصفون الخليل

لا أسمع إلا صدى صوتي

يتردد

وصمت الجدران)

وانطلاقاً من فهمها ومعرفتها للمعنى الحقيقي والسامي للكوفية، فإن الشاعرة لا تتوانى عن إظهار معرفة الشعب بذلك المعنى، وحرصه بقائها، فهي ليست غطاء للرأس فقط، بل انها رمز لتعميق الهوية:

(ان يمزق الكوفية

كوفية كوفيات
ولا يعرف أننا ننسج أخرى
منذ أن كانت الكوفية
لنا ليست مجرد
غطاء للرؤوس)

وإلى جانب الكوفية، فللعلم معنى إيجابي في حالة الانتصار، وهو يعني عدم التخلي
عن الوطن، وعدم الاستسلام، العلم هو الهوية وهو الوطن ولا راية بيضاء لتسليم
الوطن،

(كل الرايات التي أرفعها
أنسجها من دمي
ولا يرى عدوي
راية بيضاء أرفع)

وحتى عند الموت، تبقى الراية والكوفية رمزان وطنيان والعلم والكوفية هما رمز
لفلسطين التي ستستعاد بالمقاومة:

(انحنت رؤوسنا على النعوش
التي ارتدت الكوفية والعلم
حيث ألقينا أسلحتنا هناك)

* * *

(كلما رأني أطارده
قاتلي
تبتسم الأرض)

واقروا هذا المشهد أيضا، المتضمن فشل العدو في اغتيال الشعب الفلسطيني كما يتوهم العدو، لا محو للذاكرة، لا نسيان، لا استبدال لفلسطين باسرائيل، هذه هي المقاومة:

(إقصف ما شئت من البيوت

وإن تقتل

فأنت لن تبيدنا

فأنت لست إلا رصاصة

تخطننا)

وثمة دراما تتجدد أشكالها في ديوان "جلاجل غرب النهر" ، إذ ثمة حوارات باطنية، تندلع تحت طائلة القهر والظلم والاستلاب، في صدر من يهدم العدو بيته، يُسميها النقاد: التدايعيات، وأحيانا المونولوجات، ولكن شتان بين تحققها في حالة الفرح ، وبين حصولها والمرء في قمة القهر والغضب، لتؤكد أمينة شعرا، أن العدو لا يريد الشعب، ولا أي علامة من علامات ملكيته للأرض وما عليها، وحتى المبنى الذي يقيم فيه، يُحيله لأنقاض:

(يأتي لي بالأنقاض

ربما لا يريد

لي المباني).

وكأني بأمينة تقول شعرا: كم هدم، علينا أن نتحمل، هدم المؤسسات، واغتيال الشخصية الوطنية، إن كسر كرسي نشترى بدلا منه، يهدم بيتا، نعيد بنائه، يقتل انسانا وطنيا هذه خسارة لا تعوّض، لأن الإنسان المناضل لا يُشترى من الأسواق ، فالعدو يرى في اغتيال الشخصيات الوطنية أمرا مهما جدا.

يقوم الحوار في قصائد أمينة "الدرامية" على تعدد الأصوات والأشخاص، الأمر الذي يعبر عن أبعاد فكرية وسياسية ، فالشاعرة لها صوتها، وثمة طرف آخر خصم ، فتصبح القصيدة في هذه الحالة مؤلفة من صوتين، وأحيانا يبرز الصوت الثالث الذي يقدم وجهة النظر الفكرية والسياسية المغايرة ، وترتقي بفنيتها العالية أحيانا، لأن يكون لكل صوت من هذه الأصوات الثلاثة صوتا داخليا وآخر خارجيا، وتُبدع الشاعرة أكثر حين تقيم نمطا حواريا آخر من خلال الحوارات مع عناصر الطبيعة ، لتخلق منها معادلا سياسيا وفكريا سواء بانطاقه أو بتحريكه، وأحيانا تختفي الشاعرة وتجعل الموجودات تتحدث مع بعضها.

الصور البصرية

وليسمح لي القارئ أن أشير، إلى هذا العدد الضخم من الصور الشعرية البصرية ببلاغتها ، والتي تدين هدم البيوت، ولكل ما يلحقه العدو بالمواطنين من ألم ومعاناة، والمقصود أيضا تصوير بشاعة الظلم ولاإنسانية العدو ولا أخلاقياته، ومن ضمن انتهاكاته إقامته جدار الفصل العنصري الذي دمر البيوت والبيئة، وفصل بين الأبناء والآباء في شعر أمينة صوت الشهيد في مواجهة الظلم:

(طفل يسيجه

رعب وصراخ

يمكث في

العراء

أن

رحل الجدار)

وتلتقي أمينة العدوان مع شعراء المقاومة في صورهم الوطنية، فحين حاصر العدو بيروت عام 1982، كتب معين بسيسو قصيدة يتحدث فيها عن محاصرة العدو نفسه داخل ألياته ، وها هي أمينة تجدد في هذا السياق ، وتعبّر عن ذلك الحصار بقولها:

(هذا الذي دمر آلاف البيوت

لكي يبني بيتا له

أصبح يقيم في دبابه

لا يستطيع أن يغادرها

ولم تعد إلا الدبابه

بيتا له)

لقد تنبه كثير من النقاد ، لما في شعر أمينة ، من صور كاريكاتورية، تدخل في سياق الفن الساخر، وتحديدًا السخرية المرة ، انها تؤكد أن الظلم والابادة والاذلال تدفع بالانسان للمقاومة ، فالعدو الذي يدمر المصنع والبيت والانسان بصواريخه ، يُشعل بذلك شرارة المقاومة:

(أباتشي

وإف 16

مصنعي هدم

ومزرعتي أتلّف

وبيتي قصف

أحمل يد ابنتي

وقدم أخي

ألف حزام الموت له

وفي الصباح

أهديه الحزام)
ويكتمل المشهد في قصيدة أخرى:
(قنبلة بشرية
يتفجرون من حولي
الرحيل، الرحيل، الرحيل،
بعيدا عنهم
ما أريد
وما وجدتي أحمله
جواز سفري.)

أوضاع معكوسة

يمتلئ شعور أمينة العدوان بالمفارقات، وبالعناصر المتناقضة، أو بما يطلق عليه في البلاغة العربية: (الطباق)، غير أن ما في شعرها بكل صدق، أبلغ مما ورد حول الطباق في علم البلاغة، فهي في إحدى المفارقات، تقلب الموازين بالعدو، فهو حين يستضعف الناس، ويصادر حتى أمتعتهم، تُصوره الشاعرة الصراع الذي لم ينتهي في استرداد ما سلبه المحتل، و ما زال الصراع مستمر في استرداد ما أخذه العدو، بحيث يبدو جارا لأمتعة الآخرين، بينما يقوم الآخرون بجرّ ثيابه، وهذه أيضا من الصور الجديدة في شعر المقاومة، فهي تعبر عن تأثير المقاومة والانتفاضة على العدو وما يمارسه من لصوصية:

(يحمل أمتعتنا
ويريد أن يرحل بها
ونحن نجر ثيابه)

وتُصر الشاعرة على جعل نتيجة إجراءات العدو ، تنقلب عليه، وتستحيل ضده،
فبدل أن تطال الذين يسعى لتهجيرهم، نجد المكان في قصائد أمينة العدوان يرفض
العدو، هنا جرحى وجنازات وأشجار زيتون وكوفيات وأسلحة وملثمون يتدثرون بالعلم ،
بعلم مرفوع على البيوت والشوارع وفي الأيدي والكائنات ليس كدمات و دم فقط بل
أجنحة وآفاق .ويستحيل إلى كائنات حية تطرده ، وتلقي بأمته خارجا، وتوصد
المدخل:

(يتخيل القاتل
أنه ألقى أمتعتي
ووضع أمتعته
وأراهم الآن
يلقون أمتعته بعد أن
طردته الأبواب).

وفي هذا الشعر تصوير لرفض الشعب للاحتلال ، الأمر الذي يبدو في الجرائد
ونشرات الأخبار ، التي تُبرز مجمل انتهاكاته
وفي موقع آخر، تُبرز الشاعرة أثر المقاومة على الاحتلال، والمقاومة تحارب
وحدها، وكأنه لا يوجد حولها ملايين من العرب، هذه الغيبوبة إلى أين ستؤدي، ومتى
سيصحو المتفرجون العرب وهم يستهدفون مدينة عربية وراء مدينة.

(أضواء الصواريخ
بيوت بين فكي القذائف
رعب
يتنفس الموت اختناقاً
أو احتراقاً
وهم

يأخذون من يد قاتلهم الأصابع)

تداعيات مستوطن

مدفاته

ما عدت

أستطيع

أن آخذها

ثابت ثابت

إنني لم أفعل

إلا أن رفعت

يده

التي تضغط

على عنقي

أو أختنق

قصف البيوت السكنية

وثمة ربط بين الموت والفناء الذي يتسبب به القصف ، وبين اليد التي تنسج لإيحاء

التراث الفلسطيني:

(هكذا أتى الصاروخ

وقتلها

والمطرزات التي تنسجها

ولم تتم
عبثا
تبحث
عن
أصابعها)

هدم البيوت
إن ما يجلبه العدو من دمار، لن يقابله السكان إلا بالرفض:
(هو الذي جعل بيوتهم أنقاض
لم تكن الكائنات التي أصبحت
تقيم في العراء
لتنحني له).

وللتعبير عن الضرر النفسي والمعنوي عدا عن الضرر المادي الذي يلحق بكل من
يهدم بيته تقول الشاعرة:

(أجلس على أنقاض ما كان

بيتا لي

وهدمه

لقد أتى لي بأذى شديد)

إن ردود الفعل المختلفة ، عند من يتم تدمير منزله بالطائرات ، وتقطيع أفراد أسرته
إلى أشلاء، ومن يتم تدمير مصنعه ومزرعته، لن يجد ما يقدمه لعدوه إلا الموت ومقاومة
التدمير و الاغتيال وما يقدمه لعدوه إلا الموت:

(أباتشي)

وإف 16

مصنعي هدم

ومزرعتي أتلف

وبيتي قصف

أحمل يد ابنتي

وقدم أخي

حول خصري

ألف حزام الموت له

وفي الصباح

أهديه

(الحزام)

العدو هو البرد ، هو الشتاء القارس حين يهدم البيوت والجدران.

(لا تهدم آلاف البيوت

في هذا الشتاء

فأتى البرد

طاردا الجدران)

وتقول:

(العدو

لا سقف، لا باب، لا نافذة

بقي

يأتي برد في الشتاء القارس

طاردا الجدران)

أبواب

إن القمع والأبواب الموصدة على السكان تأتي بالمقاومة، الصمود والتحدي:

(وأبواب يوصد

ألا يخاف

أن تغلق

عليه)

تأثير ممارسات العدو

إن المواطن الذي يفقد كل شيء، لن يموت من ذلك الفقدان، فاجراءات العدو كلها

تدفعه للتحدي وللمقاومة:

(يصدع الجدران

يفجر النوافذ

يخرج الكائنات

من البيوت

ويجعلهم يرحلون

وبإطار أسود

يوظر الصور)

* * *

(لم ننم هذه الليلة من القصف

نجمع بقايا القذائف من الساحة

وترى ما حل في بيوتنا

من دمار

وتبقى في البيوت
أسلحة)

* * *

الاحتلال
موت
لا
حياة

كل عوامل التهجير والابادة لن تجدي نفعا أمام صلابة و صمود المواطن على
أرضه:

قصف البيوت السكنية بالصواريخ
القذيفة أتت
دمي
ولم ترحل
به

ومهما تجاوز العدو حدوده، وأمعن في سرقة الأرض والبيوت وما فيها، فإن
المواطن بالتصاقه بأرضه سيكون صاحب الحق دائما:

يأخذ الغرف، الأبواب ، النوافذ
وأنا أفقد الجدران
أعرف أن هذا لي

وأنه يأخذ أشيائي

* * *

(هدم بيوتنا

وهي لم تأوى

وجدرانه لم تأوه

ارحل

وأبني خيمة

أغلقت على عائلة واحدة)

صورة الشهيد

إن للشهداء صورة بطولية ، ورموزاً نضالية ، أهم ما فيها الحرية للوطن ولسكانه،

إنّ الشهيد هو الفجر يأتي بالنهار أمام الليل ، الأبواب والنوافذ أمام الزلزلة والحواجز :

ما زال يعود إلى البيوت

الموصدة

حاملاً الأبواب)

الشهيد

وبالنظر لارتباط المقاوم بأرضه وبيته، فإنه عند استشهاده يترك الأثر الذي يتمثل

في الحرية للوطن ولبيوته وللسكان، فالمكان في ظل الاحتلال ليس بيتاً أو حديقة ، بل

حواجز وأسلاك شائكة وجدران، وزنازين ومقبرة. وترى الشاعرة أنّ المقاومة تأتي

بالمساحات الواسعة أمام الحواجز ، والنوافذ والأبواب أمام الزلزلة، والبحر والشاطئ

أمام الصحراء، والأفق أمام الأسوار والأسلاك الشائكة، وهذه جميعاً رموز الحرّية ضد الاحتلال والعبودية.

(أهو)

نافذة

ذهبت

أم باب)

* * *

(إنه يريد أن يجعل من بيتي

أنقاصاً

وموت

وهذه النافذة

حربي)

إن سلاح المقاومة ، فقط هو الذي ينفذ السكان من الموت المحقق على يد العدو:

(إنني لم أفعل

إلا أنني رفعت

يده

التي تضغط على

عنقي أو أختنق)

إن إجراءات العدو القاسية، هي التي ستولد شرارة المقاومة باستمرار، وهي التي

سترتد عليه بالخراب والدمار:

(دخان جعل بيته

واعتقد أنه ليس

لديه

(مدخنة)

وتضيف:

(سور الموت الذي بناه لي

أحاط

به

(اليوم)

* * *

(في محطة القطار

وقف عند قتلته

وقيدهم

فالقبيود

لم تعد

له

وحده).

* * *

(أنظر لما سار في هذا الطريق

أرى حواجز ، حواجز، وضع له

ولا طريق).

وتقول عن تأثير الانتفاضة:
(دماؤه تركض نحو الغرف
ولا تجلس
في الردهة)

* * *

(نعوش نعوش
هكذا النعوش تكاثرت
حتى أغلقت
على
قاتلهم
الطريق)

وتقول في وصف شدة قمع العدو وعنفه وارهابه على لسان الشهيد:
(القذيفة كانت دمي
ولم ترحل به)

وتضيف في قصيدة أخرى:
(القذيفة تبحث في
أجسادنا
عن أرديتها
الممزقة)

ويتأكد المعنى نفسه في قصيدة ثالثة، حيث تقول الشاعرة:

(هكذا أخذ بيوتنا

على أسرتها البيضاء

ترى دماءنا)

وتضيف في قصيدة أخرى:

(هكذا حين ترديهم

شهداء

تأتي الأنقاض)

إن أي إجراء للعدو، له إجراء مقابل من المقاومة:

(يحمل أمتعتنا

يريد أن يرحل بها

ونحن نجر ثيابه)

القصيدة القصيرة جداً

وبالنظر لانشغال الشاعرة أمينة العدوان بالقصيدة القصيرة شعراً، وانشغال الناقدة الأردنية الدكتورة امتنان الصمادي(المُحاضرة في الجامعة الأردنية) بالقصيدة القصيرة جداً، فإننا نُبرز هنا بعض الأحكام التي توصلت لها د.امتنان بهذا الصدد، والذي التزمت به أمينة دون أن يُملى عليها أحد ذلك، باستثناء المؤثرات التي ترددها عبر الشاشة الصغيرة، ونشرات الأخبار، والقصص والحكايات التي تتناولها الصحافة ، والناس فيما بينهم حول ما يجري في الأرض المحتلة إبان الانتفاضات المتكررة ، تقول د.إمتنان:

- تتشكل القصيدة القصيرة جدا عندما يمكن حصر المحتوى بدفقة فكرية واحدة واضحة البداية والنهاية، مما لا يستلزم تقسيمها إلى وحدات جزئية
- ان قضية القصر والطول أمر مرهون بالعلاقة القائمة بين الشكل والمحتوى ، فإذا كان التصور الفكري في عملية الخلق الشعري محدودا بحيث يمكن احتواؤه بوحدة معمارية أو بشكل بيّن المعالم ، كان الناتج قصيدة قصيرة ، وهو ما يعبر عنه بالقصيدة الدفقة أو التكتيف.
- القصيدة القصيرة حالة مركزة من الكثافة والتكتيف وهي ثرية الدلالات والرؤى العديدة المتنوعة الناتجة عن صدق التجربة ، التي يمكننا أن نطلق عليها قصيدة رصد المشهد أو الموقف.
- ان هذا النمط من القصائد يبني في أقل عدد مكن من الصور والألفاظ، حتى انه قد يتبادر إلى الذهن أنه يميل إلى التلخيص أو انه يعمد إلى التجارب البسيطة أو القصيرة ، فالتجربة من هذا النمط هي تجربة حية وواسعة الأفق من حيث كينونتها زمانا ومكانا بما لا يتعارض وكونها مكثفة جدا ومبلورة في أقل عدد من الألفاظ ، ويمكن أن يطلق عليها تجربة اللحظة، أو الضربة الشعرية.
- وتتميز القصيدة القصيرة بالبعد عن التزييق الفني، بحيث تصبح أشبه ما يكون بكتابة الخبر الصحفي الذي يعنى بتوثيق اللحظة زمانيا ومكانيا بموضوعية.
- ومن الأنماط التي تقوم عليها بنية القصيدة القصيرة ما يصطلح على تسميته بظاهرة التأزم والانفراج أو التحفز والتفريغ بحيث تتألق القصيدة القصيرة وتتشكل من شقين الأول يستثير فيه الشاعر توقيع القارئ ، والثاني يشبع هذا الشعور بالتحفز.

الفصل الثالث

ديوان : دمه ليس أزرق

لأن الدم المتدفق من الأجساد العزلاء البريئة ، يتدفق في المنازل، وفي الطرقات، لأنه يتفجر من شرايين جريح أو شهيد، بغض النظر عن عمره أو جنسه، لأنه العلامة الأبرز تحت الاحتلال، ولأنه يوثق لعمليات القتل ، ويشهد على ارتكاب العدو جرائم بحق البشرية، لأنه يعني أن في الأرض المحتلة رجالا ونساء وأطفالا يُحبون أرضهم، ويتعلقون بأوطانهم ، ويُضحون دفاعا عنها بدمائهم وبأرواحهم ، ولأن أمينة العدوان شاعرة لديها درجة عالية من الإحساس بالمسؤولية الوطنية ، فقد أطلقت على ديوانها هذا عنوان "دمه ليس أزرق" ، لتضمينه معنيين كبيرين، الأول: أن من يُضحى بدمه ويستشهد ، يستحق ممن بعده تخليد تلك التضحية، والرفع من مكانتها، والاشادة بصاحبها، لأنه باستشهاده أضاء شمعة ضد ظلمة الاحتلال، وحاول أن يوقف الظلم ، وأن يستعيد الوطن فقد استشهد استشهادا مشرفا، وهو يطرد الظلم ويهشمه، استشهاده يؤدي لاستعادة ما يستطيع استعادته من فلسطين، أما المعنى الثاني، فإن لهذا الدم المسفوح من الشهيد ، صفات خاصة عند الله ، وعند عباده، فهو الدم الزكي الطاهر الذي يبقى أخضرا ولا يجف حتى يوم القيامة، أما دم عدوه فهو أزرق، يحتمل دلالات سلبية، وتنعكس فيه سمات الحقد واللؤم والبرودة واللاإنسانية ، وفيما يلي بعض المعاني والدلالات التي تضمنتها القصائد المنشورة في هذا الديوان:

في قصيدة "إبادة" يرى الاحتلال في أصحاب الأرض على أنهم سيخضعون للتدمير، للاغتيال، للابادة، والقصائد تصوّر المقاومة البطولية التي يقوم بها الشعب الفلسطيني ضد العدو باعتباره الخاسر في هذه المعركة، فالسكان يتكاثرون، وهو من يتساقط في التخاذل والخسران:

(أدفنك حيث ما أريد

وضعتك في القبور

بلا جدوى

أراني أتعثّر في الحفر الفارغة

أقع فيها

حين آتي لأحضر الدفن)

وتعيد الشاعرة صياغة المعنى نفسه فنيا من جديد، في قصيدة أخرى، تُظهر العدو وهو يحفر القبور للسكان، غير ان جنوده هم الذين يسقطون فيها:

(أعوام

وأنا أحفر قبراً له

لكي أدفنه فيه

وجدت الحفر

امتلات بجنودي

وهم يطاردونه

حول المقبرة)

وتؤكد الشاعرة أن المقاوم عندما يدافع عن وطنه، يُبعث، يعود إلى الحياة، فالشهادة ميلاد، وليست دفنا وموتا ، الشهيد ميلاد للوطن:

(كثير منا رحل

وليس

من

صفحة وفيات)

مواكب الشهداء

من يقرأ معظم ما خلّده التاريخ العربي من شعر ، يجده مرتبطا بالمعارك ، أو بالسياسة والاجواء المحيطة بها، الأمر الذي تسترجعه أمينة، وترفع به من شأن شعرنا العربي، الذي خرج بعضه عن الخط النضالي الملتزم، وبدأ يُبدي المفاتن حيناً، أو يسقط في الرذيلة حيناً آخر، أو يهوي إلى الفنتازيا في معظم الأحيان، أما الشاعرة أمينة العدوان، فتُمسك بالقصيدة ، وتعيدها إلى ساحة المعركة من جديد، لتكون المرأة المصقولة، التي تُبدي الشهداء في أبهى وأجمل صورهم، حيث تستخدم رموز صقور ، أجنحة أفقاً تحلق ضد القضبان . إن اجنحتهم تُصبح أفقاً وساحات فسيحة بدلاً من الأمكنة الضيقة الخانقة والمعتقات والقضبان والحواجز، فهم رمز للحريّة ضد العبودية والاحتلال.

(صقور، صقور

قبل أن يرحلوا

يبقون

للمشيعين

(الأجنحة)

أطباء .. وشهداء

تنظر أمينة للكوادر الطبية، وللأجهزة الصحية في الأرض المحتلة، ذلك أن الكوادر العاملة فيها ، كلهم مشاريع شهداء، لأنهم وحدهم من يعمل ويتحرك تحت القصف، باحثا عن جريح أو مريض لإنقاذه، وقد يستشهدان معا تحت القصف نفسه، أما العدو نفسه، فينظر إلى هذه الكوادر بغضب، لأنه مع موت الجرحى والمرضى وحتى الأصحاء، وليس مع إنقاذهم، ومن هنا نجده، يرتكب مخالفات للقوانين والأنظمة الدولية ، بالاعتداء ليس على المواطنين العزل فحسب، بل وعلى هذه الكوادر أيضا، التي تتضمن القوانين الدولية مواد تحث على ضرورة تسهيل عملهم، وعلى تأمين الظروف المناسبة لتحركاتهم ، ليقوموا بمهامهم الانسانية النبيلة على أتم وجه، وبأقصى سرعة، تقول تحت عنوان " قتل الأطباء":

(تركهم)

ينزفون الجرحى

ساعة..ساعتين..ثلاث ساعات

وركل بدبابته سيارات الإسعاف

وقتل الأطباء

أهو دمي يهرب، يهرب به

أم خطوط حمراء

يدوس عليها

أي تجاوزات؟)

جرائم حرب

وفي قصيدة أخرى ، تؤكد الشاعرة على إصرار العدو على إبادة المواطنين من خلال إغلاق المستشفيات والمراكز الصحية الخاصة بانقاذ الجرحى وإسعافهم من جهة،

وعلى قتل العاملين في الكوادر الصحية من جهة أخرى ، وخاصة الأطباء، وحرص العدو نفسه على حرمان المواطنين من وسائل العلاج ، ليس بتدمير سيارات الإسعاف فحسب، ووضع الحواجز الكفيلة بعدم وصولها للمحتاجين لها والذين يعيشون بين الحياة والموت فحسب، بل من خلال حرمان المحتاجين للعلاج، ولو تمثل في حبة دواء، من وصوله إليه:

(المستشفيات...أغلق أبوابها

وكان للطبيب أن يأتي

وينقذ الجرحى

حتى لو قتله

وهو عائد بالدواء

هكذا نحن.)

وفي السياق ذاته، ترسم الشاعرة في قصيدتها " جريمة حرب"، مشهدا للجريح في حالة النزف ويصرخ طالبا النجدة والإسعاف ، وللعُدو وهو متربص بالطبيب يحول بينه وبين إنقاذه ، وحين يتحول الجريح إلى شهيد، فإن القاتل لا يكتفي بما فعل، بل يُسخر آله الحربية ، لمنع وصول العلاج إلى من تبقى من الجرحى والمرضى:

(بقي ينزف ينزف

إسعاف

أسمع صوته ينادي

ومنعني من أن أسعفه

أنظر دمه أمام عيني

ثم مات

قتله..أبكي أبكي
ودبابته تسير على يدي
وتأخذ مني الدواء)

أسلحة

يعتمد الاحتلال في هجماته المتكررة في الأراضي المحتلة على ترسانة الأسلحة التي يستخدمها، والتي تلحق أقدح الخسائر بالمواطنين وممتلكاتهم، ولأن هذه الأسلحة باتت مصدر قتل وتدمير ، فقد عمل المواطنون بأسلوبين، الأول تمثل في المقاومة بالفعل، لحرمان العدو من تلك الأسلحة، والثاني فضح العدو في العالم، بعد إخباره أن الأسلحة التي تُصدر إليه، لا يستخدمها إلا لقتل المواطنين العزل، مخالفاً بذلك القوانين الدولية، الأمر الذي قد يساهم في إيقاف بيع السلاح له:

(وله في الجيش أسواره
ولكي نتسلق أسواره
دبابة نعطبها
وتوقع الأيدي الكثيرة
على إلغاء صفقة الشراء)

وفي قصيدة أخرى، حملت عنوان "قنابل بشرية" تقول الشاعرة:

(الجندي فقد سلاحه
لا سلاحه فقط
بل ثكنة من الأسلحة)

وتتساءل الشاعرة: أي بطولة للعدو وهو يتجول بأسلحته الثقيلة بين المواطنين

العزل:

(بين سكان عزل
كيف بأسلحته الثقيلة
يتجول؟!!!)

وبين فينة وأخرى، تنظر الشاعرة إلى المشهد النضالي في حب الوطن، فترى
حصاد المعارك على الأرض ، إذ ثمة تكاتف وتعاون ووحدة عز نظيرها، تجمع بين
كل المواطنين الشرفاء، تؤدي ببعضهم للشهادة، وبعضهم الآخر جرحى للمستشفيات،
وبعض آخر للأسر في المعتقلات، مسيرة هؤلاء جميعاً تبدو في هذه القصيدة:

(آلاف الشهداء

آلاف الجرحى

آلاف الأسرى

في سيرها

ولا تغمض عينيها

(الطريق)

تدمير المؤسسات

ثمة موضوعات لا تصلح للشعر، ومن الصعب حتى التحدث عنها في الأبحاث
والدراسات السياسية، ومع ذلك ، تستخدم الشاعرة ملكاتها الإبداعية ، وتُخضعها للشعر
وجمالياته، دون أن يُشعر القراء بأي تنافر، ومن تلك الموضوعات ، قيام سلطات
الاحتلال بتدمير المؤسسات، لتحقيق أهداف عدة في آن واحد، منها على سبيل المثال لا
الحصر، تكريس البطالة، وحرمان السكان من مصدر رزقهم، ومن الأدوات التي تسهل
معيشتهم، وتنظم حياتهم ، لتتركهم هائمين على وجوههم في الشوارع ، يعانون من
البطالة، ويرزحون تحت الفقر، والجهل، لا يجدون مؤسسة تؤهلهم أو تعلمهم أو تدربهم

أو تؤيهم، لا في أوقات الرخاء ، ولا عند الشدائد، كل هذا الاغتيال والتدمير قالتها أمينة ،وقالت أبلغ منه، بأن العدو يكرّس الظلم، وهناك مقاومة تطالب بالعدل بدلاً من هذا الإمحاء والتدمير:

(أحمل كل الوسائد

وكل الأسرة

ولرأسه

لا

وسادة)

سياسة التجويع

وتجدد الشاعرة الحديث عن قيام العدو بتدمير البنى التحتية، والمؤسسات التي تساعد الانسان على تسيير أمور حياته اليومية، الأمر الذي يؤدي لحرمانه وأسرته من أبسط حقوق الحياة ، وفي مقدمتها لقمة الطعام التي يمكن تقديمها للأبناء، فتصور الشاعرة المشهد بشعر فيه تراجيديا الانسانية، ذلك انها كما قلنا سابقا، ليست متفرجة على المشهد، بل تعيش فيه:

(لقد هدم المصنع

في أفواه أبنائي

أضع شوكة فارغة)

سياسة الترانسفير

وتحت عنوان "هدم البنية التحتية" ، ترسم أمينة العدوان شعرا أطماع العدو من إجراءاته القمعية، والتي يأتي في مقدمتها تهجير السكان ، وتختصر المشهد ، باعتقاد

العدو أن الوطن : فندق، وأن السكان : نزلاء، وان تدمير الفندق: الوطن، وتهجير
النزلاء:السكان:

(وقد دمر الفندق

وأخذ ما في الغرف

أرى النزلاء يغادرون)

العمليات الاستشهادية

عدّد "د.أحمد صدقي الدجاني" في دراسة له بعنوان "الاستشهاد في الواقع
اللسطيني أربعة عوامل تقف وراء تنامي ظاهرة الاستشهاد في المجتمع الفلسطيني كما
يلي:

1. عقيدة الاستعمار الاستيطاني والتعليم العنصري الذي يشجع العدوان ويمجد
السيطرة العسكرية ويحفل بتحريضات تلمودية على قتل "الأغيار وإبادتهم".
2. المعاناة الفلسطينية غير المسبوقة في تاريخ الاستعمار بفعل الممارسة
الصهيونية.

3 . ترسخ الاقتناع في أوساط الشعب الفلسطيني بأن المقاومة بمعناها الواسع وبكل
أبعادها هي السبيل الوحيد لانهاء الاحتلال.

4 . تراكمات الغضب من عملية المفاوضات والاذلال في كامب ديفيد 2 وتداعياتها.
ويضيف الباحث نواف الزرو في كتابه : (العمليات الاستشهادية) الصادر عن
المؤتمر الشعبي للدفاع عن القدس عام 2003، الصفحات 21-25 عوامل أخرى منها:

1 . الخلفية والثقافة الدينية الاسلامية التي تحض المسلم على الجهاد ضد الاحتلال
والظلم والكفر، وقد شرّع شيخ الازهر محمد سيد طنطاوي "العمليات الاستشهادية ضد
الاحتلال في مؤتمر ممثلي الأديان في الاسكندرية".

2 . الاحساس الفلسطيني بالعزلة والوحدانية في مواجهة مشروع الاحتلال وآتته
الحربية التدميرية وتراكم خيبات الأمل الفلسطينية الشديدة من الوضع العربي الرديء ،
وحالة الشلل والتفكك والصمت والفرجة التي تسيطر عليه التي ترتقي إلى مستوى
التواطؤ والجريمة.

3 . عجز المجتمع الدولي وهيمنة وطغيان السياسة الامريكية المنحازة حتى النخاع
لصالح دولة الاحتلال.

4 . تصاعد العدوان الصهيوني التدميري والدموي الجرائمي ضد الشعب الفلسطيني
خلال انتفاضة الأقصى ، ذلك العدوان الذي بلغ ذروة مرعبة في استباحته للأرض
والشجر والحجر والانسان العربي في فلسطين ، وبخاصة في عهد حكومة شارون ،
التي اعتبرت أن "المعركة مع الفلسطينيين معركة وجود ومعركة كسر عظم معنوي" ما
جعل الفلسطينيين يدركون تماما أن المعركة هي فلا معركة وجود وأن مصير القضية
ومستقبلها رهن بصمودهم وتحملهم أعباء وتضحيات هائلة لا نظير لها في النضال
العربية ضد مشاريع الاستعمار).

عندما لا يبقى للمواطن ما يخسره، عندما ألحق به العدو الخسائر في الأرواح
والممتلكات، وأبقاه مقيداً ، نجد المواطن نفسه يطلب الاستشهاد، ويسير إليه على قدميه،
ولكن في هذه المرة، بعد أن يُلحق الخسارة المماثلة بعدوه:

(فلنبتعد عن سلاسله وقيوده

فلا أريد أن

أمكث بجانبه

جسدي

أصبح

حزاما ناسفا

أم حقائب مفخخة

سأرتاح كثيرا

إن تبتعد عني

فتوار

• (توار)

وتصديقا لمقولة الرئيس جمال عبدالناصر "ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة"، ترى
الشاعرة في رجال المقاومة ، الاستشهادي، أسلحة، تعادل مفعول أسلحة العدو، فهي
ربما أشد فتكا، تحت طائلة المعاملة بالمثل، أو "يوم المظلوم على الظالم، أشد من يوم
الظالم على المظلوم":

(إن لم يحمل

ما جعلني

أحمل

لن

يرى

ما أتقل

بأحماله

• (كتفي)

* * *

-جنود كثيرون يطاردونه

شخصا واحدا هو

يرونه ألفا

ترى
هل أبقاها أم ألقاها
بندقيته القديمة!!

وفي موقع آخر ، ترى في تنفيذ العملية الاستشهادية ، إنارة لضوء في نفق مظلم،
وكان الاستشهادي طرد الظلم والمحو والالغاء، فلا يمكن محو شعب وإلغاءه، فنتحقق
الرؤيا رغم اشتداد الحلقة:

(شاب يفجر نفسه
في مقهى البيتزا
قبل أن يرحل
يشعل سيجارة
في هذه الظلما
وينير هذا الضوء).

شهداء .. وأحياء

ولطالما اختصرت الشاعرة الكلام ، ولحّصت المواقف والقضايا التي تحتاج إلى
عشرات الصفحات، بعدد قليل جدا من الكلمات، فمفخذ العملية الاستشهادية من وجهة
نظر الشاعرة لم يمت، فهو يطرد الظلم والاقْتلاع ويأتي بالعدل الضائع: .

(ان الشهيد آت
لا يد ألقته به
ولا دمه
ذهب).

ولا تنس الشاعر أن تقدم بعد كل عملية استشهادية تتحدث عن الاستشهادي يترد
الظلم والاقْتلاع، ويأتي بالعدل الضائع:

(مات منتصرا

وقد أسقط الجندي

وجبهته)

كما لا تنسى أن تشير ، إلى أن في هذه العمليات ، إنهاء لما كرسه العدو من أدوات
الاغتيال والتدمير والالغاء، بعد أن رسموا بتضحياتهم حياة جديدة لهم ولمن بعدهم:

(اليوم

عربة الموتى

التي أرغمني

على أن أقيم فيها

غادرت).

وترتقي الصور الشعرية عند أمينة العدوان، فتكتب شعرا في تصوير ضخامة الرد

الاستشهادي على العدو:

(جعل منا

نحن الكائنات الحية

فحما

ولهبا نحن نصبح

ورأسه

يشتعل)

وتصف الشاعرة في قصائدها المبررات التي تدفع المواطن للاستشهاد، وفي مقدماتها بلادة العدو ولا انسانيته، وتقصدُه موت العزل، وعدم إتاحة الفرصة لأي كان لانقاذهم عندما تسيل دماءهم ، فتأتي العملية الاستشهادية بمثابة رد على الاغتيال والإبادة:

(رأه الجندي ينزف

ساعات وساعات

وراقبه وهو يموت

ومنع عنه

الطبيب

فأذهب للجريح

وأ تبرع بالدم)

إن الشاعرة حين تتحدث عن العمليات الاستشهادية، تتحدث عنها بعد قصف البيوت السكنية ، هدم البيوت ، واقتلاع الأشجار، وإقامة الحواجز والأسلاك الشائكة والاغتيال المعنوي، واغتيال الكوادر الوطنية ، وهدم البنى التحتية ، فالاستشهادي هو حرب لاسترداد وطن مسروق:

(لم يعد إلا سلاحه يسير

يعرف أنني حين آتي

أعطب أسلحته)

وتعبر أمينة العدوان عن رفض المقاومين للقيود وللإجراءات الاسرائيلية، بشعر يرفض فيه المقاوم، حيث الأيدي ليست فقط للقيود، بل للبناء والعمل:

(وجدت الأيدي فقط
لكي يربطها بالحبال البلاستيكية
فلا الحبال بقيت في يدي
ولا يدي قيوده
هكذا اعترضت)

يقول "فايز رشيد" في كتابه "ثقافة المقاومة" الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام 2004، الصفحة: 94 (لكل شعب عربي في بلده معركته الخاصة الوطنية، وللأمة العربية معاركها العامة، فالشعب الفلسطيني، والذي هو على تماس مباشر مع العدو الصهيوني ، يخوض معركة التناقض التناحري مع اسرائيل ، ويتحدد مستوى الانجاز ، إلى جانب نضاله، على مدى تلاحمه مع امته العربية من جهة ، ومدى ما تقدمه الأمة للشعب الفلسطيني في معركته ، والتي هي معركتها أيضا من جهة أخرى، فالاستهداف الاسرائيلي لا يقتصر على الفلسطينيين فحسب ، وإنما على الأمة العربية كلها .)

تدين الشاعرة المتفرجين العرب على ما يجري في الأرض المحتلة، والذين لا يحركون ساكنا لنجدة أشقائهم، وفي إحدى قصائدها، تقول شعرا إن هؤلاء المتفرجين سلبيين ، أقعدهم الذل، وأقعدتهم الاستكانة، عن التحرك للوقوف إلى جانب أهلهم وهو يقاسون الأمرين من الأعداء:

(أخي جريح في المستشفى

ولم أزره

هل أنا حقيقة على قدمي أسير

أم أنني على الكرسي مقعد؟!!!)

وفي قصيدة أخرى ، تشير إلى عدم المشاركة أو التفرج العربي، لا تسعف جريحا،
ولا تشفي مريضا، ولا تتأر من العدو، ولا ترد على اعتداءاته:

(امتأت الطرق العربية

بسيارات الاسعاف

صفوف لا تنتهي

القتلى في الشارع كثر

ولا سيارة تأتي)

دُعر المستوطنين

وترسم الشاعرة صورة كاريكاتورية للحالة التي وصلت إليها معنويات بعض
المستوطنين ، على ضوء بسالة المقاومة ، التي تمثل بعض ردة الفعل العربية ، إزاء
الممارسات الدموية التي ينفذونها ضدهم، فقد فقدوا الأمان، ولم يعودوا يذهبون إلى
محطات الحافلات، ولا إلى المطاعم، ولا إلى الأسواق، وحشروا أنفسهم "وراء جُدرٍ
خشية أن تصيدهم الحقائب المفخخة":

(الأمكنة فارغة

لا يذهب إلى محطة أو مطعم

أو سوق

أصبح يغلق الباب عليه

وسورا له بنى

حتى حقيبتة القاها

مذعورا

وقد أصبحت الحقائب

مفخخة).

أسرى بالتزوير

من طبائع العدو بين فينة وأخرى، إعتقال أكبر عدد من المواطنين تحت حجج واهية، بغية ترهيبهم ودفعهم للهرب من وطنهم، وبعد الاعتقال، قد يبقون في السجن دونما تهمة، أو قد يُلحق بهم تهما مزورة، وهذا ما وثقته شعرا أمينة العدوان، بعد أن تضي عليه بعض الدلالات التاريخية والدينية، وخاصة "نجمة داوود" التي يتخذها العدو شعارا له:

(وضع القيود
في اليدين
ختم الأيدي
بالنجمة
ومضى بنا
إلى أين يذهب بنا
بهذه الهوية المزورة!!) .

إرهاب

الذين يمارسون الارهاب، نسوا أنفسهم، وصاروا يتهمون العرب والمسلمين، والمقاومين منهم تحديدا بأنهم إرهابيين، فما يمارسه العدو يوميا على الأرض من تدمير للمدن وما فيها من بنى تحتية وفوقية، هو الذي يستحق أن يسمى إرهابا، وتخريبا متعمدا، تقول أمينة تحت عنوان " إرهاب":

(دمر...المدينة

مبانيها

شوارعها

لا ماء
لا كهرباء
لا مباني
يده تأتي بالانقراض والدمار
لا يدي).

نعم، يد العدو وآلته الحربية ، هي التي ترتكب الجرائم، بحق المدنيين العزل، وتلحق الأذى الجسدي والمادي بهم، ويؤكد الواقع أن كل إجراءات العدو ، التي تُخلف الشهداء والجرحى والمرضى والأسرى، تزيد من مقاومة الناس، وتدفعهم للتعلق بأرضهم وبمنزلهم ، حتى يتجذروا بها، مهما كانت التضحيات:

(لا بيت إلا ويوجد فيه
جريح أو شهيد
أو معاق
أو أسير
يريد أن يرحل بالبيوت
وهم يأتون ببيوت نريدها).
جنازات..جنازات الشهداء
وأصوات المشيعين الغاضبة
تذهب بهم
إلى ساحة القتال)

وتمضي أمينة العدوان في التجديد في الشعر، فتجمع بين أمرين مهمين في قصيدة واحدة، تمثل الأول في عمليات الهدم الشمولية التي تمارسها القوات الاسرائيلية التي لا

تتوانى عن هدم مدن بأكملها ، وكذلك المخيمات، مثل هدم مخيم جنين ، وتمثل الثاني في عدم مراعاة العدو لأي اتفاقية أو معاهدة دولية، تضبط عمليات الابداء والهدم ، وتراعي حقوق الانسان وحرمته، وتمنع الاعتداء على المناطق المأهولة:

(لا أرى إلا أنقاضا وخرابا

هدم المدن

والمخيمات

لا إلى معاهدة أو قانون

التفت.)

الصحافة العربية والعالمية

ولاخفاء جرائمه، دأب العدو على الاعتداء على الصحفيين بغض النظر عن جنسيتهم، لأنه يدرك أن للاعلام دورا مزعجا له، دورا يؤلب العالم عليه، ويفضحه، ولذلك وصل به الأمر إلى قتل الصحفي الايطالي " رافاييل تشيريللو"، الأمر الذي تحدثت عنه أمينة العدوان شعرا، قالت فيه ان العدو لا يريد أحدا من طرف خصومه ، لا في القضاء، ولا في الاعلام ، فهو يحارب مؤيدي القضية الفلسطينية في العالم:

(لجرائمه

لا يريد قاض

ولا محكمة

ولجرائمه

لكي لا تبدو

يقتل الحقيقة

يقتل الشاهد

تحية له

الرجل العادل)

ومثله الصحفي، والمصور فهو مثل المقاوم، وهي حرب إعلامية أيضا لما يقوم به إعلام العدو من تزوير للحقائق

(حين التقط الصورة

أطلق عليه الرصاص

فأرى نفسه

مقاتلا

في ساحة

القتال)

وتقارن الشاعرة بين ما يجري في فلسطين من خراب ودمار، وتقارن بينه وبين ما جرى في كوسوفو، وأفغانستان، كما تقارن بين شارون وبين هتلر، معطية للقضية الفلسطينية أبعادا دولية، فتقول:

(خراب المدن

التي دمرت

لا خراب كوسوفو

ولا أفغانستان

أراه

هتلر

يعود مهزوما

بأسلحته القديمة

ويقول

سأنتحر

(الآن)

يلجأ العدو لتكريس احتلاله تفريغ الوطن من السگان ، حيث يشنّ حرباً تبدأ بالقتل،

وتؤدي إلى القبر:

(قبر أضعه في يدي اليمنى

وسلاح

في يدي اليسرى)

هكذا أحارب)

فشل سياسة العنف

تنقل لنا الشاعرة التدايعيات الداخلية ، ليس للعدو هذه المرة، بل لرجال المقاومة

أنفسهم، ولكي تشيد بما أنجزوه على صعيد تعطيل آتته الحربية:

(الدبابة

التي أعطبناها

اها

لم يستطع

أن

يهرب

سائقها!!!)•

حقوق الأطفال

وتعود الشاعرة للانتهاكات التي تطال المؤسسات التربوية، ومن فيها من الأطفال، وترسم بالشعر مشهدا دراميا يقتل فيه الأطفال تحت القصف، وتتناثر وتتمزق فيه كتبهم لتغطي أشلاءهم، ومن ثم ترتقي أمينة بفن الشعر، حين تحيل دماء الأطفال المسفوحة، إلى كائنات حية ، تقلب صفحات الكتب المتمزقة والمتناثرة:

(قصف..قصف)

وقتل الأطفال

وهم عائدون من المدرسة

وكتبهم التي تتناثر وتتمزق

على أشلائهم

لم تعد

تقلب

صفحاتها الباقية

إلا

(الدماء)

إنّ الشاعرة تعمل وتنجح في تصوير مستوى الحدث، ومن مستوى الانسان، وهي في قصيدتها"نادين أبو عيشة"، تحيل كل جريح أو شهيد ، إلى رصاصة، وذلك انطلاقا مما يتركه مشهد القتل أو الجرح من ردود فعل سلبية تدفع باتجاه تصعيد المقاومة، وبما ان عدد القتلى والجرحى ضخم، فإن عدد الرصاص الذي سيتوجه للعدو كثير أيضا:

(كلما حملت قميصا مليئا بالدم

من جريح أو شهيد

أصبح رصاصة

هكذا هو القاتل

ملأ بندقيتي بالرصاص)

أدب المخيم

وتشارك الشاعرة أمينة العدوان ، أدباء الأردن والوطن العربي، في هذا الصنف من الأدب، الذي يواكب المخيمات، لا من حيث تأسيسها، ولا من حيث الظروف المعيشية لسكانها فحسب، بل من حيث إشعار المجتمع الدولي، أن كلمة مخيم ، تعني الإقامة المؤقتة، ريثما تنتهي الظروف من أجل العودة إلى الوطن الأصلي، الوطن الأم قبل التشرّد واللجوء والنزوح، ولتصوير مدى كثافة الحقد على سكان تلك المخيمات، فإن الشاعرة توضح بأدواتها الفنية ، أن حرمان أولئك السكان من الحياة ، وكأنه اغتيال لهم بالتجويع والافقار، هنا العدو مثل الجوع ، مثل البرد ، العدوموت للسكان:

(منع الكهرباء والماء والغذاء

أي صيام فرض علينا

أي برد

أي جوع

أم انه ما زال يعتقد واهما

أن نكون طعامه

على العشاء.)

فشل سياسة العنف

وتتوالى قصائد الشاعرة حيث ترى انه بصمودهم في مواجهة العدوان، وارهاق

وقلق للعدو غير مشهد الضحية والجلاد :

(مسرعا أتى

دمار لهم

وجدهم ينتظرونه
ولم يستطع
أن يغادر على عجل)

مطاردة

هنا العدو يريد الموت للإنسان الفلسطيني والعربي ، هنا حيث الأمانة بدلاً من أن تكون مأوى وحديقة وسقوف ، تتحوّل إلى قبور ، والأردنية إلى كفن، ولا يجد المواطنين أردنية أخرى ، هنا نرفض كل هذا الموت.

(جعل الأمانة قبراً قبرا

وأراه

يطاردني

بالكفن.)

مجازر

في قصيدة حملت هذا العنوان، تحدثت أمينة العدوان شعرا عن المجازر التي يرتكبها العدو على الأرض ، لجعل خصومه بلا وطن ليُدعي كذبا أن وطنهم هو وطنه ، وممن يضحون بأرواحهم حبا لأرضه وتمسكا بها، فالقوة العسكرية لا تمحو الجرائم والمذابح:

(دمنا يسيل على الأرصفة

ولا يبالي

يعتقدواهما

أنه يمسح بسترته جنوده الشارع)

المقاومة

تحت هذا العنوان، تصور الشاعرة المقاومين ، وتجعلهم يرفضون كل ما يفعله العدو من أجل اغتيال لهم ، كما ترفع من مكانة الشعر، حين ترفض الموت والكفن رداء، هنا صورة الشهيد أمام الظلم ، يرفض الظلم، الشهيد هو العدل :

(أعطاني رداءه الأسود

ظل دمي يهرب

ولا يرتدي سترته)

وثمة حياة تنبجس من قلب الخراب والدمار والموت، لتتصدى للعدو، وتفشل مخططاته، في التدمير واغتيال السكان ، هنا الوحدة الوطنية مصدر قوة ، تملأ الشارع بالجمعوع ، جنازات الشهداء والاعلام، وليس من شارع فارغ ، هنا كل المشيعين يصبحون الشهيد ، ما أجمل هذا التضامن:

(كانت الدموع تنسى العيون

وجنازته موكب

والمشيعون جيش

والشارع ساحة قتال)

وبكلمات قليلة ، هنا المقاومة ، هنا الفعل الذي يحقق طرد الظلم وطرد البيت المهدم، وطرد الشجرة المقتلعة ، وطرد الأنقاض والمصائب التي أتى بها الاحتلال:

(اغتيال الضوء

وافترشت الظلّمة الحالكة
فوجدت النجوم في ثيابي).

* * *

بين حزام هنا
وحقيبة هناك
يرحل الظلم
بوجه مهتمّ

* * *

وطني يتألم
من القيود
وحياتي
التي أرحل بها
تطلق سراحه

الأسرى الأحرار

هنا التحرر من الاستعباد والعبودية ، والشجاعة التي ترفض شروط المحتل ، وتجل كل أسير حرا في وضعه ، وأكثر حرية من عدوه، فالرد يجعل يد العدو هي المقيدة والمكبلة ، الشيخ أحمد ياسين أحد رموز المقاومة الذين كانوا أكثر حرية من سجانهم ، قد

يكون المعتقل في زنزانة أكثر حرية في روحه من كائن مقيد في روحه ويسير حراً في الشارع:

(انني وحدي أحارب
وأنت جيش وأسلحة
ولم يمكث معك
إلا القضبان التي كسرتها
وأنا خرجت من زنزانتني).

مخيم جنين

وبالعودة للمخيمات وأدبها، فقد كتبت الشاعرة ديوانها هذا ، وانتفاضة الأقصى في أوجها، ومخيم جنين في قمة صموده وعنفوانه، لولا تدخّل طيران العدو ، حيث خوذات كثيرة وقعت للعدو وقعت في مخيم جنين، أمام أضخم وأشرس هجمة صهيونية ، تصفها الشاعرة بأنها سعت لآبادة المخيم وإحالاته لمقبرة جماعية ، وأن كثرة الصواريخ التي سقطت على المخيم، وكثرة المنازل التي هدمت، والشهداء الذين سقطوا تحت القصف والأنقاض، لم تترك مجالاً للعدو لإخفاء جرائمه في قصف السكان العزل بالصواريخ وفي دفن الشهداء في قبور جماعية في جنح الظلام، ولا لحفار القبور فرصة لكي يحفر لكل واحد من الشهداء قبره، فقد تحول المخيم إلى مقبرة ، وفي نقد شعري لاذع ونادر لكثرة الضحايا، تقول الشاعرة ان حفار القبور حين رأى المقابر الجماعية في مخيم جنين استقال لأن العدو لم يترك له ما يعمله:

(لا ضرورة لأن يهرب بالجثث

في جنح الظلام

ويدفنها في قبور جماعية

فالبيوت التي انهالت علينا

من قصف الصواريخ أصبحت مقابرا وحفار القبور حين رآها استقال)

شهادات

وتأكيدا لقول أمينة العدوان، يقول الباحث السياسي كامل جبر، في كتاب "مخيم جنين أسطورة..هزت العالم" لمؤلفه غسان نزال، الصادر عام 2002، الصفحة 131-132: (ان الهجوم العسكري الاسرائيلي على مخيم جنين 2-11/4/2002، جاء في إطار العملية العسكرية الاسرائيلية الكبرى ، والتي أطلق عليها تسمية " السور الواقى"، وربما كانت أيضا تعتبر من العمليات الثأرية التي ترى في مخيم جنين كمصدر وخطر على الأمن الاسرائيلي ، واعتبرته مستتبنا لتفريخ الاستشهاديين، ومصنعا كبيرا لانتاج المتفجرات، لذا وفي ضوء ما تقدم، لم يكن من الغريب أبدا أن تقترف القوات الغازية الاسرائيلية كل ما هو مخالف لقواعد وأعراف الحرب وارتكاب الجرائم والمجازر، وفي نفس الوقت لم يكن من الغريب أيضا على المراقبين الذين كانوا على اطلاع ودراية بالموقف المتبلور داخل المخيم والنابع من سيكولوجيا جماعية ، ذات نزعة مثالية نضالية ، أن يتوقعوا صمود المخيم أمام أي هجوم اسرائيلي ، مهما بلغ حجمه وحدته وقوة اندفاعه، وأن مجزرة قد تقع في حين قيام الجيش الاسرائيلي بشن مثل هذا الهجوم ، وقد كان هذا الافتراض أو التوقع في محله ، فقد صمد المخيم أمام هجوم أكثر من مئة دبابة، وأكثر من ألف جندي من الوحدات المختارة المعززة بطائرات أباتشي وكوبرا لمدة ثمانية أيام متواصلة من القتال الضاري، وقد جسد المقاتلون والمدافعون عن المخيم أروع الملاحم البطولية وأنبلها، والتي وصلت حد الخرافة، وتجاوزت معايير الواقع، وكذلك فقد تعرض أهالي المخيم إلى جرائم حرب راح ضحيتها الكثير من الأبرياء (العزل)

ويضيف د.أحمد مرعي أخصائي طب الأطفال في مدينة جنين، في الكتاب نفسه ،
صفحة 137-138: (الأطفال الذين فرض عليهم الحصار داخل جدران منازل مخيم
جنين عاشوا أياما وليالي مرعبة على واقع أصوات جنازير الدبابات وأصوات
انفجارات القنابل والصواريخ واطلاق النار المتواصل دون انقطاع ، عاشوا أياما
وأجواء حفرت في مشاعرهم وإلى الأبد حالة من الخوف والقلق والهلع) ويضيف:(لقد
شاهد أطفال المخيم قتل آبائهم بأم أعينهم ، وشاهدوا الجثث ملقاة بالشوارع ، بل ان
هنالك من الأطفال من بقي حول أبيه وأمه وهو ينزف أمام عينه حتى الموت).

جرائم حرب

وفي ديوان "دمه ليس أزرق" تنتقد العدو ، في استخدامه الأسلحة المحرمة دولياً في
قصف البيوت السكنية والسكان العزل بأسلحة محرمة حيث تعتبر جريمة حرب في
المواثيق الدولية، والعدو الذي سفك الكثير من الدماء، حتى تلطخت سمعته في العالم ،
وبدا الدم الفلسطيني المسفوح علامة بارزة على جريمته:

(من اعتقد انه رحل بي من البيوت

لا يعرف ماذا يرتدي

أيما

يتجول

تصبح

ملابسه

دمي)

وفي ديوانها "دمه ليس أزرق" ، واضح أن الشاعرة لا تكتب بصفة المراقب
والمشاهد لما يجري من انتهاكات يندى لها جبين الانسانية، بل صفة المشارك ، بصفة

المحاصر تحت القصف، لا يستطيع الوصول إلى الماء، ولا إلى غيره من مصادر الحياة، وإلا فإن عدوه ينتظره بالموت الزؤام، الأمر الذي شبهته الشاعرة بتشبيه بليغ، رغم أنه يصف حالة الناس، بل والكائنات الحية كلها، من شدة المعركة، حين شبهت الأكواب بالبشر، حين يجف ريقهم، فإذا كان الجماد قد شعر بمعاناة البشر تحت الاحتلال، فكيف بشاعرة تبلغ الحساسية الوطنية عندها أقصى درجاتها:

(ما من ماء أبقى

وظماً الكائنات

حتى أكواب الماء المهذور

جف ريقها)

كنيسة المهدي

يُضاف الشعر المنشور في هذا الديوان، إلى الشعر العربي التوثيقي، الذي خلد للبشرية صحائف المجد والشهادة، والذي مكن الجيل الحالي من استرجاع الماضي، ومعرفة ما جرى فيه، من وقائع مشرقة، وما بين القصيدة والأخرى، تذكر الشاعرة القراء العرب بما جرى في وطنهم المحتل من جرائم صهيونية، طالت حتى أكثر الكنائس قداسة لدى العالم "كنيسة المهدي"، حين لجأ إليها المقاومون، فعاقبت الذين لجأوا إليها بالابعد عن وطنهم، دون مراعاة لقداسة المكان، ولا مراعاة للمعاني والدلالات الكامنة وراء اللجوء إلى بيت الله، طلباً للحماية من بطش العدو وفتكه، فألحقت بهم العدوان داخل البيت وخارجه، غير أن الشاعرة لم تنس دور الشعر في الرد على إجراءات العدو الظالمة بأبيات تبين الظلم الواقع على الشعب الفلسطيني، حين أحدثت تعاطفاً بين المبعد ووطنه وأوراقه والطائرة التي أقلته، لتؤكد للعدو أن اقتلاع الشجرة

من الأرض، واقتلاع المقاوم من الوطن سيؤدي لعودة المبعد، يعود لينزرع في وطنه ثانية، تقول تحت عنوان " إبعاد المحاصرين في كنيسة المهدي":

(اقتلعتك شجرة من الأرض

طائرة

وأخذت الأجنحة الأوراق)

التوثيق

ومثلما توثق أمينة العدوان بالشعر للأحداث، فإنها توثق أيضا للشخصيات، ولتخليد إنجازات المقاومين ، ووصف عطائهم، فإنها بالمقابل تصف اجراءات العدو بالاغتيال والتدمير، اغتيال الكوادر الوطنية ، والقضاء على القوة، والاعتماد على القوة ، قوة الشخصيات المقاومة وفعاليتها ، من يغتالون من؟ الشخصيات الوطنية المهمة ، التي تحارب ضد أن تكون الشعوب بلاحقون:

(الشهيد

أنا

الوطن

القادم

وليس

هذا

(الكفن)

* * *

(هرب من العراق

حيث القاتل

بعد أن هدم بيتي

غرفة تضايقه)

إن في ذلك محاولة لتدمير الشخصية الوطنية ، واغتيال الكوادر، واغتيال الشخصيات القومية الوطنية الفعالة، هدم المؤسسات، وكل من يقول فلسطين عربية كأنه فرض حقيقة جديدة ووطنا جديدا، أمر خطير والمقاومة تقاوم رحيل الوطن:

(قصف...قصف)

بالقنابل المحرمة

على بيوت سكنية

أراد من السكان

صلاح شحادة

جبل أراد إزاحته.)

إن كثرة عدد الشهداء والجرحى وتجاوز الأرقام للآلاف ، يشكل تاريخ الانتفاضة، الدم يغطي الوجوه والأوراق والكلمات والأرض.

وعن الحصار الذي تعرض له الفلسطينيون إبان الانتفاضة، والتفرج العربي، تقول الشاعرة:

(ظماً هذا الحصار

ورغم العطش

أنظر بغضب

للأنهار الهاربة)

والعدو هو الاختناق ، هو ثاني أكسيد الكربون، هو الغبار وليس الهواء، والعدو هو الجوع والعطش والفقر والبرد:

(الماء يلقيه

والكائنات ظمأ آت)

وتضيف في قصيدة أخرى:

(أليس هو العطش

وهو يلقي الماء

أليس هو الجوع

وهو يلقي الطعام

أليس هو الفقر

وهو يسرق الثروات

لا رغيف خبز

لا كوب ماء أبقى

ومهما بلغ جبروت العدو، ومهما بالغ في تكريس صورته البشعة، فإن سلاحه عائد
ليد المقاوم ، ليضعه على الطاولة، أمام محاكم حقوق الإنسان والدوس بالأقدام على
الإتفاقيات الدولية:

(حارب حارب جيشه

أمام سكان آمنين

سلاحه بعد أن

يقتلني

في محاكم الحرب

وضعته بيدي

على الطاولة)

إن إلقاء الصاروخ للأرض وهدم ما عليها من بناء ومن سكان، يشبه قيام العدو
باقتلاع الشجر وطرده الغابات، فما يريدونه للوطن هو الصحراء:

(ذهبت كل عائلتي
من صارخ
جالسا في غابة
بلا أشجار).

بين السجن الكبير.. والسجن الصغير

إن لسياسة الاعتقال الاسرائيلية آثارا تدميرية على المعتقل، فالمعتقل لن يسترح طالما أنه في الزنزانة، وتحت قبضة العدو، ومهما بحث عن أدوات لتحرره، فإنه لن يجد إلا المزيد من الاعتداءات الاسرائيلية التي تطاله ، تقول في قصيدة "الزنزانة":

(الزنزانة

تقيم في

قميصي

أفك أزرار قميصي

فأرى

دمائي

تسيل).

دم على الحجارة ، دم على الجدران ، دم في الشارع ، دم في البيوت المهدومة، دم على التراب، دم على الملابس ، على البيوت المهدومة، على العلم، على الكوفية، دم على الوجوه ، أي مسلخ، لأي مقاومة، أي ذبح للتاريخ وللجغرافيا وللهوية وسرقة للأوطان..ومن يتفرج في العالم العربي بكل صفاقة ولا مبالاة، دم يقول هذا وطن لنا ، وطن محتل، وليس للغزاة، واستعادته معنى الدم والجنازات التي تغطي الشاشات العربية .

وليس أبلغ من شعر أمينة المكثف ، قدرة على إنطاق الحكمة، وإعمال العقل ، فلكل إجراء للعدو، إجراء مقاوم يفشله ، فهناك استحالة قلع الجذور، واقتلاع الجذور فشل، فهناك بدل الشجرة غابات باقية، تقول:

(في مزرعتي

وقد اقتلع الأشجار

أجد

شجرة)

وتقول:

(وقد هدم البيوت

ونحن نرتجف في البرد

أراه

لا يخرج من بيته في الشتاء)

وتضيف:

(وإن قطع الأشجار المثمرة

في الأرض

تخبتي

الجذور)

بيت الشرق

وبقدر اهتمام أمينة بالمقاومة ، وبالأرض، بقدر اهتمامها بالوثائق ، التي تؤكد عروبة فلسطين، وزيف الأكذوبة التي قام عليها الاحتلال، الذي لا يتوان على سرقة وتزوير تلك الوثائق، ومن هنا، داهمت سلطات الاحتلال بيت الشرق في القدس عشرات

المرات، وصادرت محتوياته، ورأت في وجوده في المدينة المقدسة، نوعا من السلطة الخاصة بالفلسطينيين، ودفاع عن الهوية العربية لفلسطين، وقد غطت أمينة ذلك شعرا، وأوضحت أن لدى الفلسطينيين نسخا بديلة، وصورا عما سرقه ، إنها حرب الجغرافيا العربية ضد جغرافيا جديدة يريد فرضها الاستيطان ، فالوثائق التي تؤكد عروبة فلسطين ، يعمل العدو على محوها وخلق جغرافيا جديدة، هنا حرب الفلسطينيين الذين قاوموا حربا بحرب ، وجغرافيا ، خرائط حقيقة بخرائط كاذبة ، وتاريخ مزور بتاريخ حقيقي ، وسرقة التراث بإعادة إحياء التراث الحقيقي ، تقول أمينة تحت عنوان "فيصل الحسيني":

(يسرق الوثائق)

من بيت الشرق

أحمل نسخة الكربون

ابقي نسخة)

هنا توضيح لما قام به فيصل الحسيني وكثير من الباحثين والدارسين في الحفاظ على الهوية والجغرافيا والتاريخ أن يبقى عربيا فلسطينيا ضد الاحتلال ، وهو دور يشبه دور المحارب الذي يحمل بندقية.

شعر المقاومة

ولأن الشاعرة أمينة العدوان، تلتقي مع كثير من الرموز الوطنية فيما تبذعه من شعر المقاومة، ويهمها الجانب التوثيقي للموضوع، أرى أو أورد هنا رأيا للأستاذ الدكتور أحمد ماضي رئيس رابطة الكتاب الأردنيين ، المنشور في الصفحة 13، من مجلة الرابطة (أوراق) العدد المزدوج: 81، 19، الصادر عام 2004: (إذا كانت المقاومة بشتى أشكالها ، وكافة أساليبها، حقا من حقوق الشعوب التي احتلت أراضيها، فإن انتفاضة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الاسرائيلي المدعوم من قبل الامبريالية

الأمريكية، هي أسلوب من أساليب المقاومة المسلحة المشروعة ، إن من حق شعبنا الشقيق في فلسطين ان يواصل انتفاضته بكافة الأدوات الممكنة، من الحجارة الى اعنى أداة يمكن استعمالها، في ضوء الظروف المحيطة بالانتفاضة، وذلك حتى يحقق سيادته، بالكامل على نفسه، وعلى ارضه، واذا كانت الانتفاضة أسلوبا من أساليب المقاومة الوطنية المسلحة ، فإن السياسة التي تنتهجها اسرائيل إزاء الشعب الفلسطيني وأراضيه المحتلة ، هي سياسة إرهاب دولة).

ومن جديد تعود الشاعرة للتأكيد ، على أهمية الرموز والدلالات الوطنية ، في تثبيت حق المواطن بوطنه، ومنها الصور، والكتب، والأدوات التي يستخدمها رجال الصحافة والاعلام ضد الاحتلال، لفضح جرائمه، إن الاحتلال حين أتى لفلسطين قام على المذابح والمجازر، وفرض الظلم بالقوة العسكرية ، دون وجه حق، ولا يزال يعتمد على الاغتيال والتحطيم والمجازر لاحتلال العالم العربي:

(أحمل الصور

وأضع في الكتاب

ذكرى المجزرة).

ولأن المرأة هي التي ضحت وناضلت، فإن استشهادها كما توضح أمينة في شعرها يحمل دلالتين كبيرتين، الأولى خوف العدو من ردود الفعل الغاضبة على جريمته، والثانية أن دمها سيدفع من بقي بعدها للثأر لها:

(ان ذهب آيات

كثير من دمها

بقي

يكسو وجه الجنود

خوف

رعب

عدم أمان).

إن آيات أجابت على الظلم والاعتقال والقصف بالصواريخ على السكان بالتضحية بحياتها ، لكي تطرد الظلم ، وتأتي بالعدل الضائع.

ومن الصور الشعرية الجديدة أيضا ، في قصيدة أمينة العدوان "الشهيد" أمرين، الأول التأكيد على معرفة العدو للمكانة التي يحظى بها الوطن من سكانه الأصليين، والثاني رغبة العدو بالانتقام حتى من المشاعر الوطنية ، التي يكنها المواطنون لوطنهم، فيعمل كل ما بوسعه للتفريق بين الوطن والمواطن:

(نحن جنازاتنا رسائل

رسائل حب للوطن

يركض

يغلق

صندوق البريد).

شخصيات تاريخية

ومن تلك الصور الجديدة، الربط بين قيادات العدو، وبين بعض الشخصيات التاريخية التي عملت على تدمير بعض أركان الحضارة الانسانية في غير حقبة من الزمان:

(نيرون أتى لحرقي

وأنا جهاز إنذار

ضد الحريق)

نيرون أتى لقتل الفلسطينيين والعرب والتخطيط من أجل بناء هذه المقبرة ،
والمقاومة منعت هذه المحرقة

الشهيد

كم أعطى من دمانه

ليغادر الوطن

سريره

* * *

أهرب من الأنقاض

حيث ألقاني

بعد أن هدم بيتي

غرفة تضايقه

الفصل الرابع

ديوان : كريات دم حمراء

تواصل الشاعرة أمينة العدوان في ديوانها هذا، التأريخ الفني لمرحلة جديدة من المراحل التي مرت بها "انتفاضة الأقصى" ، مستخدمة جماليات الشعر، لتصوير الواقع الفلسطيني كما هو، متشعبا في اتجاهين ، الأول : يستعرض بطولات الشعب الفلسطيني كما هي دون تهويل ، والثاني: يستعرض الاعتداءات الاسرائيلية على السكان الأمنيين ، وقضايا جوهرية تمس الصراع العربي الصهيوني، تستخدم الشاعرة المونولوجات الداخلية، والحوارات الدرامية، التي تكشف النقاب عن فظاعة الاحتلال، وعنفه وقسوته. تقول الشاعرة:

(سقف على الأرض

أين ما كان

بيتا؟)

ما وراء الشعر

تكمن أهمية الشعر عند أمينة العدوان، في كونه لا يتوقف عند القشور، أو عند السطح الخارجي للأمور، بل إنه يدخل للعمق، موضحا ما ورائيات الاجراءات

الاسرائيلية، فالذي يُهدم بيته، لا يفقد المأوى فحسب، فقد فقد المأوى وزغيف الخبز
وبريق العيون والمطر والأنهار والأزهار ، وفقد المأوى:

(برد وشتاء

لما حمل

معه

المدفأة).

حب الوطن

وتُبرز الشاعرة ، وقع الأذى على السكان، بعد ارتكاب العدو لجرائمه، حيث تنبثق
مشاعره الانسانية التي تتعرض للدمار، بعد أن مزق الشهداء إلى أشلاء ، صار يصعب
على المرء جمعها ، بالنظرة لكثرتها، ولكثرة عدد الذين انبثرت عنهم بفعل آلتة الحربية،
الأمر الذي يشكل فقداناً لأعزاء كثر، ومصائب كبيرة وثقيلة على من بقوا أحياء، صاروا
يعجزون عن حملها:

(بحثت عنه بين الأنقاض

أحمل يدا، قدما

تلاحقتي، تلاحقتي

الأشلاء

ثقيلة

ثقيلة أصبح

كيف تحملني

قدماي بعد الآن)

خنادق

إنّ البيت الذي يُهدم بسبب ضربات العدو العسكرية، يتحوّل إلى خندق متقدم في

مواجهة العدو:

(بيوتنا نوافذ محروقة

ينبثق دخانها، دخان أسود

أو أنقاض على الأرض

أحرقها

وفي هذا الحصار

خندق، خندق...تحفر)

كما انها تسترجع التاريخ ، وتُسقطه على واقعنا، مختارة منه ، البطل صلاح الدين الأيوبي، لتحقيق بُعدين ، يتمثل أولهما في تذكير العدو بما نسيه، من أن له كرة أخرى، وأن في عالمنا من استطاع تحقيق الانتصار عليه في الماضي ، وأن هذا الانتصار سيتحقق في حاضرنا ومستقبلنا، كما تذكر العدو، بأن هذا العدد الضخم من الشهداء الذين سقطوا في مخيم جنين ، لن تمر تضحياتهم دون تحقيق انتصارات عليه:

(الأكفان البيضاء

التي اصطفت

في مخيم جنين

لم أقبل

أن يحملها

إلا صلاح

الدين).

دماء الشهداء

إن الشهداء "أحياء عند ربهم يرزقون"، وأن دماءهم لم تذهب هدرا، طالما أن دماءهم ترافق الأحياء، وتذكرهم بما مضى، وأن المقاومين في أثناء نضالهم، يكونون قريبين جدا ممن سبقوهم من الشهداء، طالما أنهم في المسيرة الكفاحية الواحدة معا:

(في الشارع آلاف الجرحى

والشارع دماء

وأنا السائر

نحو قاتلهم

دمهم لذي لم يهدر)

وفي قصيدة أخرى تقول:

(طريق أسير فيه

دمهم يسير معي

لا

يجعني

أسير وحدي).

معادلات شعرية

وكلما قلّت كلمات القصيدة عند الشاعرة، كلّمًا اتسعت للكثير من المعاني

والدلالات، تقول عن منفذ العملية الاستشهادية:

(الوطن في القيد

وأنا أطلق سراحه).

وتوثق الشاعرة أيضا ، لمشاهد الوداع التي تُسجلها الكاميرات للاستشهاديين، ولما يرتدونه قبل الاستشهاد، وخاصة عصابة الرأس الخضراء ، تربط بين أمينة العدوان، بين تلك العصابة، من جهة، وبين نتيجة الاستشهاد، كما هي على أرض الواقع ، وما ترمز إليه من دلالات دينية:

(أعصب رأسي بمنديل أخضر

فيغطي الأرض القاحلة

عشب أخضر)

وضمن المشهد نفسه، تختصر الشاعرة رسالة الوداع التي يتركها الاستشهادي بعده، والتي تؤكد أنه لا يُعبر عن حبه وتعلقه بالوطن وتجذره فيه بالكلام، بل بالفعل أيضا ، إذ يُقدم على خطوة تفقده حياته:

(عن الوطن فقط

أتحدث

آخر حديث

أقوله

وأموت)

وفي قصيدة أخرى:

(يكتب رسالته الأخيرة

والأرض الوصية)

سياسة الاعتقال

وعلى أرض الواقع ، ثمة اجراءات احتلالية ، تكشف الشاعرة النقاب عن مراميها وأبعادها، وعن دلالاتها القريبة والبعيدة أيضا، وخاصة تلك الكامنة وراء سياسة الاعتقال الاسرائيلية، ورغم قصر القصائد، إلا انها تستوعب بفتية عالية ، كيف يقوم الاحتلال بتنفيذ الاعتقال الجماعي، والاجراءات التالية له، ومن ثم إظهار مراميه :

(البيوت، الشوارع

امتلات بالمعتقلين

إنهم يعصبون عيونهم

يريدونهم أن لا يروا الطرق

ولا البشر،

ولا يرون الوطن

ولا تقودهم إلا عصاه).

وترتقي الشاعرة في خطوة جمالية متقدمة، لتصوير عجز العدو عن إلقاء القبض على "المقاومين" ، وتضع الاحتلال في موقف العاجز عن الإمساك بهم ، أو إلقاء القبض عليهم فهم للآفاق:

(هو يطاردهم

انهم أجنحة

وهو عاجز عن التحليق).

وفي قصيدة أخرى:

وإن اعتقلهم

أجدهم

زنزانة هاربة)

وفي ارتقاء فني آخر آخر، تشبه الشاعرة الشهداء في أثناء رفعهم على الأكتاف والأكف عند تشييع جنائهم، بعد وضعهم في الأكفان ، بالنجوم والأقمار، فهم ضوء وقوة تضيء العيون التي أطفأ العدو بريقها:

(أحمل الشهداء

نجوم، أقمار

في الأكفان.)

وثمة تجديدات تتالى في المشهد النضالي الواقعي الذي تتحدث عنه أمينة العدوان شعرا، وخاصة عندما تتحدث عن الإحساس الجمعي بين المقاومين، لتكريس الوحدة الوطنية ، فالأذى الذي يلحق بأي مواطن ، لا يكون الإحساس به فرديا، بل جماعيا، فالجريح ، له من يُحس بألمه، وإن لم يكن مجروحا، فالمصاب واحد:

(أحمل الجرحى

ويسيل

دم

من

يدي)

المقدسات

وأمام إجراءات العدو، التي تطال حتى المقدس لدى المسلمين والمسيحيين في آن واحد، نجد الشاعرة تصوّر من الواقع الاحتلالي ، ما تعرضت له كنيسة المهدي من جهة، وما تعرض له مسجد عمر بن الخطاب، على سبيل المثال، من جهة أخرى ، لتُري

العدو، ما يراه على الأرض ، من أن هذه الانتهاكات لن توقف المقاومة، بدليل انه عندما أشعل النار في المسجد، لم يرَ إلا شيوخاً قادمين:

(قرآن في يدي

أضعه

في المسجد

الذي أحرقه

فأرى

مقرنا

آت)

رفض الاقتلاع

وتمضي الشاعرة في تشبيهاتها، التي تضي على الشعر بهجة ورونقا خاصا،
لنقول للعدو على لسان المقاومين ، بأن أي محاولة لاقتلاع المواطن من أرضه، ستبوء
بالفشل ، فربما يخسر المواطن رداءه الخارجي، أما جذوره في عميقة في الأرض:

(يحاول أن ينتزع جلدي

أراه لا يحمل

إلا

الرداء).

وإن الشهيد عندما يُدفن في الوطن الذي اقتلع منه، لا يكون غريبا عنه، بل هو
الوطن بذاته، الذي بعث ثانية:

(الوطن أخرجته من الكفن

وعلى الأرض

أراه

(يسير .)

المتفرجون

تنتقد الذين يتفرجون على ما يجري من اغتيال الكوادر في الانتفاضة، مع تمجيد

مكانة الشهداء، وتشبيهم بالانهار:

(على الشاطيء

كثر المتفرجون

على رحيل الأنهار.)

وفي أكثر من قصيدة في هذا الديوان، تنتقد أمينة شعراً أولئك المتفرجين، الذين

يراقبون المشهد عن بُعد، ولا يجدون الأشقاء:

(أنظر إلى دمهم

ووجهي

بلا دماء)

وفي قصيدة أخرى:

أراه يحمل العلم

أنظر يدي

فارغة، فارغة)

الأعلام

وبين قصيدة وأخرى، تعود الشاعرة للعلم، على اعتبار انها ترى فيه الوطن والشهداء لا يتم تكفينهم إلا بالعلم ، فهو الهوية والوطن الذي يرفض الاحتلال ، ويرى نضاله أكبر، فهو من وجهة النظر الوطنية، يرى الوطن:

(على أكفاننا

أصبح يرى

العلم

الذي يلفنا

أكثر..

أكثر)

أسرى

ولا تنسى الشاعرة العذاب الجسدي والنفسي الذي يتعرض له الأسرى بعد الاعتقال، وبالنظر لتكرار مشهد الأسر اليومي في الوطن المحتل، فإنها تربط بينه، وبين عملية التشويه والتعذيب والألم والاغتيال ومن إضرار بحقوق الانسان، إذ بدلا من أن يدق العدو المسامير في الخشب، فإنها بالأسر تُدق باليد الانسانية مدى للمعاناة والتعذيب:

(صليب ،

وصليبان،

تكثر كل يوم

وعلى يدي، أراه

يدق المسامير)

حواجز

شكلت الحواجز الاسرائيلية داخل المناطق الفلسطينية، ومن حولها، عوائق حرمت المواطنين من حرية التنقل لتلبية متطلبات عيشه الأساسية، وأبعدت الحواجز المسافات بين المواطنين، فللبحث عن الطرق الالتفافية، وخاصة الترابية منها، يضطر المرء، لأن يقطع المسافة القصيرة التي لا تحتاج إلا لدقائق لقطعها، إلى إمضاء ساعات طويلة، والسير كيلومترات كثيرة، لكي يصل للنقطة القريبة نفسها، في قصيدتها هذه ، توضح الشاعرة معاناة الفلسطيني نتيجة الحواجز ، :

(حواجز، حواجز)

وأراني لا أسير

وهو يمدد

قدميه طول النهار

على الحاجز).

أوراق عربية

تساهم الكلمات في المعركة، مستذكرة أسماء المجاهدين القدامى، وفي طليعتهم "عبدالقادر الحسيني"، ومستذكرة أيضا أهم المدن الفلسطينية ، وخاصة القدس:

(أتيت القدس محاربا

أذكر عبدالقادر الحسيني

من قبل

كتبت اسمها

وعلى الأوراق

التي التصقت

بجدرانها

أبقيت القلم)

الحرب

ويثبت الواقع اليومي في فلسطين، أن سقوط الشهداء بكثرة، وتوحد الشعب في مواكب تشييع جنازاتهم، لا يعني انتهاء الحياة، بقدر ما يعني إعلان الحرب على العدو:

(جنازات الشهداء

طبول

تدق

طبول

الحرب).

وها هو صدى الكلمات الوطنية يتردد ثانية في قصيدة أخرى:

(في أنقاض كل بيت

في كل شهيد أو جريح

في كل الطرق

كلمات عن الوطن

تتردد)

وتؤكد الشاعرة على الوحدة بين الوطن وأبنائه، الأمر الذي ينفي امكانية الانفصال

بينهما، وفي صورة جديدة، تعبر الشاعرة عن حب الأرض بقولها:

(لو أن الوطن

ينظر إلينا

ونحن نحبه

في الشارع

يقترب
أكثر.)

جرائم الحرب

وفي قصائدها، تجمع الشاعرة ، بين ما يمارسه الاحتلال، على صعيد العدوان من جهة، وعلى صعيد القضاء الذي ينحاز للعدوان، من جهة أخرى، ولا يترك المعتدى عليه وشأنه، بل يضيف له مصائب أخرى ، وقد نطق بالحكم الظالم، تقول:

(قصف البيوت السكنية

عدم إسعاف الجرحى

جرائم حرب

والقاضي غض النظر

عن هذه القضية

وأغلق الملف).

وفي قصيدة "جرائم حرب ولا محاكمة" تقول الشاعرة:

(جرائم حرب

كلهم يبرئ نفسه

حتى المحكمة

ملأها

بالقضاة

الهاربين.)

وتقول في قصيدة ثالثة بعنوان "جرائم حرب":

(هذه جريمة حرب

قصف البيوت السكنية

وفي مثل هذه الأمكنة

المقفلة أبوابها

أضاعني

(القاضي)

ولأن العدو يستخدم أسلحة محظورة في حربه مع الفلسطينيين، ولأن المجتمع الدولي لا يُحرك ساكنا تجاهه ، بدلا من معاقبته، فإن الشاعرة تجمع بين هذا العدو، وبين سلاحه المتطور استخدامه، على طاولة القاضي غير العادل، ليتلو المتضررون حكمهم عليه:

(حارب حارب أمام جيش

وليس أمام سكان آمنين

في الجبهة، وليس في البيت

سلاحه المحظور بعد أن

كان يقتلني

محاكم الحرب

وأمام القاضي

وضعته

على الطاولة).

مخيم جنين ثانية

ولأن فظائع الاحتلال تتحدث عن نفسها، وكذلك مذابحه ، وخاصة تلك التي ارتكبتها في مخيم جنين، فإن الشاعرة تصوّر تلك الفظاعة ، وفي الوقت نفسه ، تصور مدى الاحساس بالألم والشفقة ، فيمن يتعاملون مع نتيجتها، تقول:

(ابنتي)
رأسها المقطوع
وجدته ملقى على الركام
كيف أسير
قد أكون أسير
على جسدها المدفون
تحت الأنقاض
وأخلع حذائي
وأسير
حافيا)

قيود

ويتسلل الشعر إلى الوطن ، ليحيله إلى كائن حي، يتألم من الاحتلال وقيوده، أما
عاشق هذا الوطن، فيضحى بحياته من أجل إنقاذ وطنه، على اعتبار أنه والوطن كيان
واحد لا انفصام بينهما:

(وطني يتألم من القيود
وحياتي التي أرحل بها
تطلق سراحه)

وفي قصيدة أخرى ، نجد المقاوم نفسه، يبحث عن الحرية الجماعية لوطنه وشعبه،
قبل أن يبحث عن حريته الشخصية، ويستشهد من أجل ذلك:

(هناك)
ما علي

أن ألقيه

قيودي)

وبالنظر إلى كثرة التضحيات، وكثرة الدماء التي انهمرت نتيجة للضربات العسكرية، فقد صورتها الشاعرة على أنها نهر من الدماء، أما القاتل الذي مارس العنف ضد المدنيين حتى أدماهم، فإنه يخشى الاقتراب من ذلك النهر:

(دمنا فاض كالنهر

وهو السابح

خاف

من الغرق).

العلم والكوفية

أمينة العدوان ، في طليعة الشعراء العرب، الذين رصدوا أدوات المقاومة العسكرية والسلمية، وهي تنظر إلى العلم والكوفية، باعتبارها الهوية التي أراد تمزيقها العدو والكوفية التي أراد العدو إلقاءها على القوى والمقاومة ، لاسترداد الهوية والعلم المفقود ودلالات وطنية سامية، وكلما فرض العدو حصاره، وضرب حظر التجول والسفر والحركة على السكان، كلما لجأ السكان إلى أدوات المقاومة التي تشاركهم في رفض الحواجز والحصارات والاعلاقات المتكثرة من جهة، وفي رفض الموت من جهة أخرى:

(علم، كوفية يطاردني

محاصر بين موت وموت

في هذه الحرب)

وتقول في قصيدة أخرى:

(محاصر بين حاجز وحاجز

في هذه
الطرق
قادني
العلم).

* * *

(على أكفاننا
أصبح
يرى العلم
أكبر).

النحّات

وإلى جانب العلم والكوفية ، تتوقف الشاعرة عند دور الفن بعامة، وفن النحت
بخاصة، في الانتفاضة، من حيث تخليده للشهداء، فهم ان استشهدوا، لم يُنسوا أبداً، فثمة
فنانون بارعون، سيخلدون تضحياتهم، ليستحيل المشهد إلى متاحف عامرة ذاكرة
للمشاهدين:

(لم كل هذه الوجوه
يريد أن يدفنها
مروان البرغوثي
صلاح شحادة
بالحجارة، أبحث عن وجوههم

أشيد لهم

بيتا

دوما

يقيمون

فيه)

الجرّافة

وضمن تبيانها لأدوات الجريمة عند العدو، تذكر الشاعرة "الجرّافة" باعتبارها العدو الأول للبيوت الفلسطينية، والأرض الفلسطينية، لأنها لا تتوقف عن تجريف الأرض، وهدم البيوت، فهي السلاح الأمضى للعدو في أثناء تدميره للوطن ، ولما شيده المواطن عليه، وفي الوقت نفسه ، تبدي وجهة النظر الفلسطينية في الجرّافة، حيث يُنظر إليها بالمقت والحقد والكراهية، تقول الشاعرة تحت عنوان: "جرّافة":

(صوت المباني

وهي تنهار

كم أمقتها

تدثر الأمكنة

بالتراب

والغبار)

ساحات القتال

وفي ساحات القتال، حين يكون الانسان معلقا بين الانتصار أو الهزيمة، بين الموت أو الحياة، في ذلك المشهد:

(كانت الدموع تنسى العيون

والشارع ساحة قتال)

المجد للشهداء

وضمن قصائدها الوطنية، والقصائد التي تعكس شخصية المقاوم، وذلك الترابط بين الانسان ووطنه، تُذكّر الشاعرة ، بأن كلا منهما يضحى من أجل الآخر، ومن أجل استرداد الوطن المحتل:

(الوطن

من أجله

ولا أحتفظ بشيء

لنفسي).

وحين يمضي المقاوم إلى حتفه، عبر العملية الاستشهادية، من أجل خلاص الوطن وتحرره، تقول الشاعرة تحت عنوان "عملية استشهادية":

(الوطن في القيد

اليوم

أخذت منه

القيد).

وفي قصيدة حملت عنوان "المقاومة" تقول الشاعرة:

(وطني المسروق

لا أتخلى عنه للسارق

أنظر دمي

عاد اليوم ردائي)

والوطن من جانبه ، يحيي الذين يستشهدون من أجله، ويبادلهم مشاعر العز والفخر لقاء البطولة والصمود الذي سطره قبل استشهادهم، ومن هؤلاء الشهداء، يبرز اسم أبوجندل، الذي تحدثت عنه الشاعرة بقصيدتين، تقول في الأولى:

(مات أبوجندل

محاربا ضد جيش

حيا ببطولته وصموده

وطن لا يريد

أن يرحل).

وتقول في الثانية:

(رافعا أبوجندل

على أعلام وطني

والوطن يأتي).

وفي الواقع الفلسطيني، يبدو مشهد الخراب والدمار، وما يكتنفه من زوابع وغبار، وهذه جميعها تُذكر رائبها بأن العدو هو الذي صنع كل هذه الكوارث:

(أراه في الطرق

الدمرة

عيناه

يملؤها

الغبار).

وللدلالة على العزلة التي يعيشها العدو، وعلى حالة عدم الرضى التي يشعر بها بعد أن يُنهي عدوانه على المدنيين وأرضهم وممتلكاتهم، تصور الشاعرة مشهده وهو على هذه الحالة بقولها:

(أطوف جلادا

مع سوطي

وأنا

أتجول).

وفي قصيدة ثانية تحمل عنوان " عملية استشهادية":

(يطوف حاملا صورة الجلاد

وأنا وضعت

صورته

في

الماء).

وفي قصيدة ثالثة ، حملت عنوان "الجلاد"، تقول الشاعرة:

(أطوف جلادا

معتقلا الأمكنة

ورى طريقي

التي أريد أن

أسير بها

تبتعد

(تبتعد)

وبالنظر إلى التحدي الكبير الذي يتمتع به المقاومون، حتى لو كانوا داخل الزنازين، فهم أحرار وان اعتقلهم، وكم من حر في الخارج وهو معتقل في روحه ومواقفه وحياته

(وإن اعتقلهم

أجدهم زنزانة

هاربة)

أسلاك شائكة

ولأن حرب العدو لا تتم إلا من وراء جدار، ولأن جزءاً من تصعيده العسكري يتم بواسطة الحواجز، والأسلاك الشائكة، وبالنظر إلى كثرة الحواجز والأسلاك، على أرض الواقع، فإن الشاعرة تصوّر وضع الأهل في فلسطين، بأنهم لم يعودوا يرون عدوهم إلا من وراء الأسلاك الشائكة:

(محارباً أو مسالماً

لم يعد يرى وجهي

بدون الأسلاك

الشائكة.)

وتبلغ السخرية الشعرية والواقعية أيضاً، وكذلك النقد المر، في هذه الصورة الشعرية والواقعية معاً:

(على الحاجز

الذي بناه

لا تجد

إلا سلحفاة

تمشي)

ردود الفعل

إن لكل قضية ردة فعلها، ولكل إجراء إسرائيلي ردة فعله، ولكل عملية للمقاومة أيضا ردود فعل عند العدو من جهة، وعند الوطنيين من جهة أخرى، والشاعرة أمينة العدوان، تترقي بعمليات المقاومة شعرا وفنا، لثري القاريء العربي أثرها ، على العدو:

(استشهادي

يستشهد

حيث يجلس

القاتل

فيهتز الكرسي)

وترصد الشاعرة أيضا ، ردود فعل المشاهدين إزاء ما يمارسه العدو من جرائم في

قصيدة "نشرة الأخبار":

(يطلق الرصاص

على رأسه متعمدا

ورأسه يتناثر أشلاء

ياللهول

يا إلهي

فانتقطع يدك، فانتقطع يدك

يد الجزار، يد السفاح

دعاء).

وضمن ردود الفعل أيضا، يبرز البكاء والغضب ، متنفسا لمن هدمت بيوتهم، ولمن

فقدوا أبناءهم:

(البيوت لم تعد

انها أنقاض أنقاض

والأبناء شهداء

وجنازات

وعيون تبكي

وعيون

غاضبة

(المشيعين).

الهجرة القسرية

تحقق الشاعرة نقلة نوعية في الموضوعات التي تتناولها بقصائدها، ومنها التهجير القسري، المعروف " بالترانسفير"، حيث للعدو أساليبه القمعية، الرامية لتفريغ الأرض من سكانها، سواء بآبادتهم، أو بتهجيرهم، كي تخلو الأرض له، وفي شعر أمينة تصوير لهذه الاجراءات، وللرفض الذي تُقابل به من السكان:

هذا ما أراه:

(المباني، أطلال

أي هجران للأمكنة، فرض علينا

أهرب من تأشيرة الهجرة

يضعها في يدي

واعترض المهاجر)

وبالنظر لكثرة الاستشهاديين، فإن الشاعرة تصوّرهم، على أنهم المخلّصون، والأسلحة البشرية التي سنتنقم لمن استشهدوا أو جرحوا أو أعتقلوا:

(وصيته

بقي في الشارع

جرحي وشهداء

ومعتقلون

واستشهاديون ساروا

إليه

(أسلحة.)

وفي قصيدة ثانية ، توضح دور الاستشهاديين، بصورة جلية، فنقول:

(في الطرق

كان هنالك شهداء وجرحي وأكفان

ترفع ودماء

وحقيبة أحملها

وألقي بها على قاتلهم

وأغير الطريق)

وضمن المفارقات الجميلة التي تبرز في شعر أمينة، إبرازها هذا التضاد في الرموز والدلالات ، فالأبيض أبيض ، والأسود أسود، ولا يجوز على الاطلاق وصف الأبيض بالأسود، والأسود بالأبيض، فعمى الألوان، وطمس الحقائق ، مرفوض في الواقع، وفي الشعر أيضا، فالليل ليل، والنهار نهار، والاحتلال احتلال، والمقاومة مقاومة:

(كيف يسير الليل كاذبا

زاعما

انه

النهار).

الجرحي

وللجرحي في الميدان دورهم النضالي، ويشكلون عددا كبيرا من أبناء الشعب الفلسطيني، وإلى جانب احتفاء الناس بهم، فإن الشعر ينقل ما في الشارع العربي، وما في الواقع ، من ردود فعل حولهم، ليس عند أبناء جلدتهم فحسب، بل تبرز وجهة نظر العدو بهم:

(تمتلىء الشوارع بالجرحي

ككل حروبي

معه

عاد الدم

ردائي.)

الشهداء

وللشهداء أيضا مكانتهم السامية في الشارع العربي، ومن هنا يواكب الشعر الإنجازات الوطنية وما يحققونه للوطن باستشهادهم ، والأمان والاحلام القومية التي تتحقق نتيجة استشهادهم:

(وأصبح كل فرد

يحمل أكثر من اسم

ويحمل اسم شهدائه

ونناده

باسم

من رحل)

الأم

وبين قصيدة وأخرى، تعود الشاعرة إلى الأم، التي تنجب الأبطال والمناضلين، وعند
استشهادهم، تشير إلى تأثرها الشديد بفقد الحرية والآفاق ، لمن يحارب العبودية لكي
يأتي بالحرية:

(الدموع تبدي عينه

تأتي بالأفق

فأرى

كيف

هذا الوجه

الجميل رحل).

* * *

(حزن أم غضب أم قهر

ونحن نشاهد مواكب الجنازات

ودماء الجرحى

لا نسمع ما يقوله لنا صوت المذيع

لا نسمع إلا الأقدام

الراكضة

تحمل جريحا أو شهيد).

وللدلالة على التضامن والوحدة الشعبية، وللدلالة على أثرها في مواجهة الاحتلال،
وما يتسببه من شهداء وجرحى ومعتقلين، فإن الشاعرة ، توصل رسالة الفلسطينيين
للاحتلال، وهي أن التدمير والابادة لن تتحقق، وأن من الاستحالة إبادة وإفناء شعب كما
يريد الاحتلال فهو في فلسطين ليس وحده كما يعتقد .. ليس وحده:

(يفرغ البيوت منا
إما وراء القضبان
أو في الأكفان أو القبور
وبيوتنا لا تفرغ
ليس وحده كما يعتقد
ليس وحد)

جرائم الحرب
يرفض العدو أن يقوم أي شخص بإسعاف من ألحق به الأذى، فيبقى الجريح دون
من ينجده حتى يستشهد، ولتحقيق مآربه، فإن حواجزه الكثيرة، تحول مخالفا القوانين
الدولية، بين سيارات الإسعاف، وبين الجرحى:

(زوج وزوجته
يجرح زوجها
ينزف
يبعد الجندي، سيارة اسعاف
يقف الجندي، يرقبه يموت
وبين الجندي
والمرأة
أصبح
دمه)

والأمر نفسه يحدث مع الطبيب، فإن تحقق التواصل ما بينه، وما بين الجريح، فإن العدو يعمل على تعطيل آلية عمل الطبيب ، لكي لا يُسعف الجرحى:

(أنا الطبيب

يدي يضعها خلف ظهري

ليأتي النزيف

ويرحل به).

أنياب

وفي صورة شعرية تجديدية ، تحيل الشاعرة المكان إلى غابة، وتحيل العدو إلى حيوان مفترس، ومخالبه الدامية تفترس البشر، وتدميهم ، فالعدو افتراس:

(كأنه حزن أم قهر

أهي غابة

لا ترى

أيدينا

إلا دامية

بهذه الأنياب

أي اضطراب).

وأمام الإرهاب الصهيوني الذي تصفه أمينة في شعرها ، نقف قليلا مع قول للأستاذ الدكتور أحمد ماضي رئيس رابطة الكتاب الأردنيين ، منشور في بحثه المقدم لمؤتمر (الإرهاب) الذي عقدته أمانة عمان الكبرى خلال الفترة من 25-27/3/2002) جاء فيه:(إن المثقف المناصر للمقاومة هو المثقف الذي يتصدى للإرهاب ، ويعمل على محاربته ، وهذا التصدي هو من صلب الفعاليات التي يؤديها مثقف هكذا . انه يضطلع

بهذا الدور ذاتيا، بملء حريرته ، وكامل أرائته . انه بذلك يسهم ، في تحقيق ذاته ، وامتلأها ، وفي توسيع أفقها . إن مثقفا هكذا، في الوقت الذي يتصدى فيه للارهاب ، يقوم بالدفاع عن المقاومة أيضا انه دفاع بالكلمة في المقام الأول . وقد يستدعي الأمر انخراطه في المقاومة . وبالنظر إلى أن المقاومة ، بشتى أشكالها، وكافة أساليبها ، حق من حقوق الشعوب التي احتلت أراضيها ، فإن المقاومة الفلسطينية والمقاومة العراقية ، وأي مقاومة مماثلة ، هي مما يقوم مثقف كهذا بالدفاع عنها . إن من حق شعبنا الشقيق في فلسطين المستوطنة والمحتلة أن يقاوم بكافة الأدوات الممكنة ، من الحجارة إلى أعنى وأمضى أداة يمكن استعمالها ، وذلك حتى يتحرر من المستوطنين المحتلين ، ويحقق سيادته ، بالكامل ، على نفسه ، وعلى أرضه . وإذا كانت الانتفاضة أسلوبا من أساليب المقاومة ، فإن السياسة التي تنتهجها الدولة المغتصبة إزاء شعبنا الشقيق ، وأراضيه ، هي سياسة إرهاب الدولة ، سياسة تلقي المؤازرة والدعم من الولايات المتحدة، والدول الدائرة في فلكها على هذا النحو أو ذاك ، وأيضا الأحزاب والمنظمات والأشخاص الذين هم ، من حيث المنحى السياسي والفكري، حلفاء للصهيونية والامبريالية العالميتين .

إن الارهاب باعتباره ظاهرة مرعبة ومروعة للانسان، وبالنظر إلى أنه ذو تأثير مدمر، فإن التصدي له بشتى الأساليب ذو أولوية قصوى على كل الصعد . ويستطيع المثقف أعنى مثقف المقاومة، بل من واجبه التلقائي ، أن يسهم في التصدي له، وذلك بتنوير الناس بماهيته ، وآثاره المدمرة ، وأيضا بالتمييز بينه ، وبين المقاومة .

حرائق

وضمن ممارساته ضد الأرض الفلسطينية ، والمزروعات ، التي تمثل مصدر عيش الفلسطينيين وروح اقتصادهم، يلجأ العدو إما لتجريفها، أو لاحتراقها، لتحل الصحراء مكان الاخضرار:

(حرائق تذهب بالحقول)

وتأتي باليباب
(حقل)

ساحات الوغى

وفي قصيدة أخرى ، تؤكد الشاعرة على أن "الأشجار تموت واقفة" والمناضلون
يستشهدون وهم في ساحات الوغى والمواجهة" ، تقول:

(هل طالت قامته المناضل

كمثل شجرة

أم تراه هذا القاتل

أحرق الحقل)

بين الكوفية والعلم

وتربط الشاعرة بين أوجه المقاومة المختلفة، من العلم ، ألى الكوفية، وتربط بينهما
وبين وقفة العز التي تفتحها الشجرة الشامخة، بل وتمضي قدما لتؤكد أن المقاتلين ،
جذورهم مثل الشجرة في الأرض، وفروعهم تقاتل وتناضل وتقاوم في كل مكان:

(هم أشجار باقية

وفي الشمس

الحارقة

كوفية للرؤوس)

وعن الكوفية تقول:

(أحمل كوفيتي

في البرد

فتدفىء رأسي)

]

وعن الأغنيات تضيف:

(الأغنيات أراها

تسير

خلف

(المقاتل)

ولا تنسى الشاعرة هذا الصراع الأيديولوجي الذي يجري إلى جانب الصراع السياسي والعسكري على الأرض ، فتصور تحدي العلم ، لنجمة العدو:

(نجمة داود كيف تسير

وهل بقيت نجمة

أمام الرصاص الحي

والدخان

والدماء

كيف تسير

أمام أجساد

ملفوفة بالاعلام

مليئة بالندوب)

وتمضي الشاعرة الملتزمة في تعداد عناصر المقاومة وأنواعها وأثر كل منها على العدو، وتنتقل في قصيدة أخرى إلى دور الأغاني في المعركة، والذي يكمل دور الكوفية وغيرها ، فتقول:

(هذه الأغنيات الجميلة عن كفاحي

على كتف العربي تضع الكوفية)

اغتيال الكوادر

وفي السياق نفسه ، تواصل الشاعرة بين عدم اقتلاع المواطن كالشجرة، الجذور،
سواء من حيث الصمود ، أو الاستشهاد، وأثر الفقد في الحالتين، والتبشير بأن وراء
الخريف ربيع ، سيعيد الحياة للانسان وللارض وللشجر المتجذر فيها أيضا:

(يساقط أوراق الشجر

يريد أن يجعل الشجرة

بلا أوراق

ينتظر موت

الشجرة

يا للخريف القادم)

وتصور الشاعرة الأثر الذي تركه استشهاد الشهيد حسين عبيات على البشر
والبيئة، وتشببه بالنهار والضوء في وجه ظلام الاحتلال ، تقول:

(حسين عبيات

كيف استشهاد

الليل أتى في النهار

صباح الخير

يا نهار رحل)

وتقول في قصيدة أخرى:

(فرسان، فرسان

وإن غابوا

مروان البرغوثي، حسين عبيات

والجياذ

تبتعد

عن الساحات

الفارغة

مسرعة).

وتمضي في ذكر بطولات ونضال الشعب الفلسطيني الذي ضحى حقيقة ، فتقول في

قصيدة أخرى:

(وإن أخذ الذخيرة

الذخيرة ، التي لا تنفذ

أبوجهاد، أبو إباد، أبو جندل)

ودون تخصيص ، تذكر الذين استشهدوا فداء لفلسطين:

(كل سيكتب

عن شجاعتك، عن صمودك

أيتها الوجوه القوية

التي واراها التراب

هذه الشجاعة

هذا الصمود

هذه التضحية

كانت

للوطن

قرايين).-

صواريخ

ولتصوير بشاعة الاحتلال، وفضاعة جرائمه، توثق الشاعرة ، لأثر الصواريخ التي يطلقها العدو على البيوت السكنية وعلى السكان العزل:

(إنني أحترق من صاروخ

وجسدي المحروق

فحما فحما

وسوداء وسوداء

أصابه

القاتل).-

مواكب

وفي شعر أمينة ربط بين الماضي والحاضر، سواء على صعيد الأحداث أو الأشخاص ، وفي لحظة الضعف العربي، وحين يفقد الأهل أحبابهم، ويسيروا في مواكب تشييعهم ، فإن الشاعرة تسترجع التاريخ مع المشيعين ، في علامة تخلد الانتصار ، وتذكر بمن حققوه في الماضي، وبما سيحققوه في الحاضر والمستقبل:

(أمام الأكفان والنعوش

لا يردد المشيعون

إلا أسماء

عزالدين القسام، صلاح الدين)

مروان البرغوثي

هنا الشخصية تصبح شخصيات وليس الكائن فرد ، هو الكائن وطن، وكل خطواته التي يسير بها لا يسير بها إلا نحو الوطن، بل إننا نراها بين قصيدة وأخرى تتحدث عن اغتيال الكوادر، عن الشهداء والجرحى والمعتقلين، بغض النظر عن أسمائهم، فكلهم مقاومون، وكلهم عبر عن المقاومة بأساليبه وأدواته، ومنهم المناضل مروان البرغوثي:

(حاملا مروان البرغوثي

كل أعلام وطني

والوطن

يأتي

أتى).

غضب

وعدا عن الأحداث والأشخاص ، تذكر الشاعرة أيضا هذا الغضب، الذي تنبثق منه شرارة المقاومة:

(الجرحى والشهداء

غضب

وعلى القاتل

تهب

عاصفة).

مقاتل

وتوثق أمينة في شعرها لما استقر في وجدان الشعب بعد مذابح جنين، وغزة، فالعدو الذي قتل ودمر وانسحب، لن ينجو من العقاب، فقد خلف وراءه دماء ودمار، وحقد يدفع كل الأيدي، للبحث عن أدوات المقاومة ، لمعاقبة العدو على إجرامه:

(طلقات طلقات
على جنود مذابح جنين، وغزة
ونابلس
أقتلهم ببندقيتي القديمة
أنا واحد
وهم
يجدونني
مائة)

الصمت العربي

إن الشاعرة الأردنية ، المتخصصة بالكتابة عن القضية الفلسطينية، ذات الاتجاه القومي، والانساني أيضا، لا ترى حرجاً في نقد الموقف العربي، الذي يكتفون بالتفرج على مذابح العدو، فالذين يُقتلون عرب، والمتفرجون عرب، والعدو لا يرحم العرب سواء كانوا تحت ظل الاحتلال أو خارجه، فكلهم على رأي "ناجي العلي" مطلوبون:

(يا مقابر جماعية

يا جثث أخوتي

يا جرحى..اخوتي

تنزف في الطرق

أموت، أموت

أنا المتفرجة العربية

ولا أجد قبوري)

كنيسة المهد

إن الحصار الذي تعرضت له كنيسة المهد، وكل الذين لجأوا لبيت الله خوفاً من بطش العدو وهمجته، بمن فيه رجال الدين، يستحقون أن تُذكر محنتهم، ويستحقون أن يُخلد الشعر موافقهم، وتضحياتهم وهو يقومون بواجبهم الديني والانساني:

(محاصرون)

كان القساوسة

يبنون جداراً بأجسادهم

له في الكنيسة

وكنت المحاصر

وكنت تحمل قارع الجرس

الذي قتله

حين أراد

قرع الجرس)

الشهيد من جديد

وفي صورة شعرية رائعة للشهيد ، تشببه الشاعر بالبحار، الذي يسرق العدو سفنه، ويحيلها إلى مرفأ له، غير أن الذي يرحل هو العدو، وليس الشهيد الذي يُدفن في وطنه:

(أنا البحار

منذ أن سرق سفني

مرفأ له

رحل)

الفصل الخامس

ديوان : دخان أسود

في الوقت الذي تعالت فيه صرخات الشعراء الفلسطينيين المشهورين على الصعيدين العربي والعالمي وفي مقدمتهم محمود درويش، سميح القاسم ، للاعراب عن تضامنهم مع انتفاضة الاقصى المتأججة منذ تاريخ 0002/9/82، وللتعبير عن رفضهم للاحتلال واجراءاته العسكرية ، أنجب الوطن العربي عددا كبيرا من المبدعين الذين شاركوا هؤلاء الشعراء في عطائهم الابداعي المتميز جماليا، والمنتمي موضوعيا للأدب الملنزم بالهموم الوطنية للشعب الفلسطيني، والذي يشكل اضافة نوعية لادب المقاومة، وفي مقدمتهم الشاعرة أمينة العدوان.

كانت ضربات الاحتلال موجهة للجميع هذه المرة ، حتى طالت الصامدين في فلسطين 1948، وكان التصعيد العسكري خطيرا ، الأمر الذي ألهب مشاعر المبدعين، وكوى أفئدتهم، واصطلاها بنار غيرت مجرى الخطاب الادبي الفلسطينيين والعربي ، الذي مال معظمه فيما مضى وانتظار الفرسان القادمين الذين سيكون على أيديهم .
الخلاص .

وكما هو الحال في الانتفاضات السابقة، فقد ارتبط الفعل المقاوم ، بنوع آخر من المقاومة التي تطال القلم والريشة، وتشمل جميع الاجناس الادبية وترسم ظلالها أيضا على الانواع الفنية كافة.

فبعد كل هذه العقود من الاحتلال، وبعد هذا التقدم التكنولوجي وثورة المعلومات التي شهدها العالم مع مطلع القرن الحادي والعشرين، تواصل المواطنون في الضفة الغربية وقطاع غزة ، مع هذا المدد الذي أنعش ذاكرتهم، وقوى ملكاتهم الابداعية ، فهبوا يسيطرون على الارض ملاحم وبطولات، ويقدمون الشهداء دفاعا عن الارض والعرض والمقدسات والممتلكات ، أما حناجرهم، فقد أطلقت صرخات عبأت مئات الصفحات في الملاحق الثقافية التي تضمنتها جرائدهم اليومية (القدس، الحياة الجديدة، الأيام) وفي مجلاتهم الادبية (الكرمل، الشعراء، الكلمة، دفاتر ثقافية، صوت الوطن) وأمام الدمار الذي ألحقه الاحتلال بمؤسساتهم الثقافية، والتي كان في مقدمتها(بيت الشعر الفلسطيني)الذي طاله القصف الاسرائيلي أكثر من مرة ، فقد وجد أدباء الضفة والقطاع في جهازي الاذاعة والتلفزيون الفلسطينيين الرسميين، وفي عدد آخر من المحطات الاذاعية والتلفزيونية الخاصة المنتشرة في مدن الضفة، منبرا يوصل أصواتهم المنتفضة لمستمعهم في أرجاء العالم كافة، وهكذا اكتمل المشهد الثقافي والفني في الاراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967، وهكذا ارتقى المشاركون في فعالياته الى مواقع بكر لم تطأها أقلام من سبقوهم من المبدعين ، وذلك دون انتقاص لعطائهم ، او تقليل لأهمية ابداعهم، أما الاغاني التي تنطلق من أجهزة الراديو والتسجيل المثبتة في الاماكن العامة في الضفة والقطاع، فلا تنطق الا بأغان وطنية يشدو بها صوت محمد عبدالوهاب :أخي جاوز الظالمون المدى، وصوت مارسيل خليفة : منتصب القامة أمشي، وصوت جوليا بطرس "نرفض نحن نموت"، "وين الملايين"، وهنا نشير الى مقدره مبدعي الارض المحتلة على توظيف طاقات الاغاني الشعبية الفلسطينية في النصوص الخاصة بانتفاضة الاقصى، وذلك نظرا لما في تلك الاغاني من حضور في وجدان الانسان الفلسطيني ،

ولما لها من قدرة على تحريك الساكن في أعماقه، وتفجير الكامن في مشاعره وجوارحه، ونشير أيضا الى مقدره هؤلاء المبدعين على انجاز نصوص غنائية شعبية فلسطينية جديدة ، تتخذ من الكلمات العربية الفصيحة وسيلة للتواصل مع القاعدة الشعبية، وفي تلك النصوص الغنائية الوطنية ترجمة تصويرية وتمثيلية للخطاب السياسي تبدو بارزة وموازية لما في مضامين الانتفاضة ونصوصها من جلال في المبدأ، وجمال في المنبت ونبيل في الغاية، بالاضافة الى كثرة الموحيات والمحرضات والموثبات على استنهاض الطاقات والقدرات.

ويضاف الى هذا الصنف من الاغاني سيطرة روح النشيد على صميم البناء المعماري لقصائد انتفاضة الاقصى، وهذا النشيد فيها ، ليس مجرد مدماك مقطعي، بل انه يتغلغل في البنية الكلية للقصائد مركزا على الجانب النغمي ، ومشكلا حركة استقصائية ملحاحة تضرب في آفاق التمني وتستشرف الآتي برؤية متفائلة.

وعدا عما في أدب انتفاضة الاقصى في الضفة والقطاع من وضوح ومباشرة ، فثمة توظيف دلالي غير مبالغ فيه للرموز والاساطير التعبيرية التي لا تتسبب في الباس النص سمة الالغاز والانغلاق ، فمفاتيح الدلالة تشكل مدخلا للفهم ، وتتقدم على هذا الصعيد الاسطورة الاغريقية التي تقول ان طائر الفينيق يولد ثانية من رماده .. وهكذا تطفو على سطح أدب انتفاضة الاقصى، سمة التداخل النصوي الذي يتشابك مع النص الاصيل، الامر الذي يحدث تفجيرا دلاليا، يتسبب في اعادة موضعة النصوص ، في شبكة جديدة من العلاقات ، التي تعطي كل نص دلالات وايحاءات انتفاضية داخلية ، موازية لتلك الانتفاضة الجماهيرية العارمة التي يشهدها الشارع الفلسطيني.

لقد انعكس قمع الاحتلال وارهابه وبطشه حتى على العناوين الادبية في الضفة والقطاع، فحين أصدرت مجلة شعراء الفلسطينيين الفصلية الثقافية عددها (21) الذي تضمن شهادات لاحد عشر أدبيا من الارض المحتلة، كانت عناوين بعض الشهادات

على النحو التالي: موت الموت، تجليات موت معلن، بين الرصاصة والحجر، تبكي السماء على حدقات الفراشة، العذاب المرقط في ابتداع الوهم المقدس.

ويلاحظ أن المناسبات الوطنية الفلسطينية التي مرت ذكراها خلال فترة اشتعال انتفاضة الاقصى ، كانت سببا في ابداع الكثير من الاعمال الادبية ، فثمة ذكرى لاغتصاب فلسطين، وذكرى يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني، وذكرى يوم الارض، وذكرى الانتفاضات السابقة ، وخاصة الانتفاضة الفلسطينية الاولى التي حدثت في الثلاثين من آذار عام 1976 والتي حدث فيها أول استخدام لكلمة الانتفاضة في الشعر، حيث قال محمود درويش آنذاك:

في شهر آذار في سنة الانتفاضة

قالت لنا الارض أسرارها الدموية

في شهر آذار ، مرت أمام البنفسج والبنديقية

خمس بنات ، وقفن على باب مدرسة ابتدائية،

واشتعلن مع الورد والزعر البلدي

وهنا نسترجع "يوم الارض " في فلسطين ودور الشعر فيه ، فقد استحدث أدباء الضفة والقطاع وسيلة أخرى من وسائل المقاومة السلمية "غير العنيفة" للاحتلال، اذ خرجوا في مسيرة وصفها الشاعر أحمد دحبور على النحو التالي: مسيرة سلاحها الحناجر العارية، واللوحة الفنية، والازياء الشعبية، والاغنية الوطنية ، خرجوا ليقولوا للاحتلال: ارحل..واللحصار: كفى..ولم تكن لديهم أوهم، فالبنديقية الغاشمة تصدر صوتا واحدا هو صوت النار بهدف القتل، والدبابة صماء، أما قنبلة الغاز فمن شأنها أن تخنق الانفاس وتدمع العيون..مسيرة سلمية، هكذا وصفها المراقبون، كنا نرفع الياقات التي تحمل شعارات الاجماع الوطني ، ويواصل دحبور وصفه لهذه المسيرة حتى أنهاها جنود الاحتلال برصاصهم الحي وقذائفهم المسيلة للدموع عند مفترق الشهداء في قطاع غزة.

إن الشاعرة أمينة العدوان، من أكثر الشعراء العرب، اطلعا على كل ما يجري من حرب فعلية، وأدبا وشعرا يصف أحداثها، ومن هنا كان ديوانها الجديد "دخان أسود".

عملية استشهادية

تبدأ الشاعرة ديوانها بهذا العنوان ، فترى البيت في ظل الاحتلال لم يعد بيتاً ، بل أصبح زنزانة ، وأسوار وحواجز ومقاوم أمام هذا الاختناق والحصار يحارب أن يتخطى الحواجز، هنا رفض أن ترحل البيوت وأن تصبح الأمكنة معتقلاً وزنزانة وقبراً:

(الأسوار والحواجز

بينون

وبيتي أصبح

لا يبدو

فتراني

أقفز

على السور)

اغتيال الكوادر

توضح الشاعرة ما يجري في الواقع الفلسطيني، من هدم لكل ما بناه الفلسطينيون ، وما أنجزوه من مؤسسات ومبان وكوادر:

(لا مشهد إلا المباني العالية

وهو يهدمها

لتتداعى)

قتل

إن الشاعرة لا تكتفي بالحديث شعرا عن اغتيال الكوادر ، فالقتل عام ، ويشمل جميع

المواطنين:

(كل صباح

لا يريد

أبنائي

إلا قتلى

ومتثاقلا

أسير.)

شهيد

ولأن الذين يستشهدون، استشهدوا من أجل هدف وطني سام، فإنهم يتركون لمن تبقى وراءهم، وصايا تتعلق باستمرار المقاومة حتى زوال الاحتلال..وهنا بعد هدم البيوت وانتشار الحواجز والاسوار والأنقاض لم يبق سليما في هذا الدمار إلا مقعد المقاوم،الذي يطرد كل هذا الخراب والأنقاض:

(لم يبق لي مكان أجلس فيه

شهيد ترك لي

مقعه.)

السور الواقى

ما بين اسم الحملة العسكرية الاسرائيلية للقضاء على الانتفاضة(السور الواقى)، وما بين اسم الجدار الذي تبنيه اسرائيل لتحويل الضفة الغربية وقطاع غزة إلى سجن كبير،

والذي يحمل اسم (جدار الفصل العنصري)، يُصرح العدو نفسه، بأنه يشعر بالاحباط نتيجة لفشل إجراءاته العسكرية:

(كم من سور بنيت

ولم يختف بعد

كأن لا

حجارة

لهذه

(المباني)

جرائم حرب

ومن جرائم الحرب التي يرتكبها العدو، إطلاقه النار على سيارات الاسعاف، ومنعه الأطباء والكوادر التمريضية من الوصول للجرحى، وإن وصلوا فإنهم يمنعونهم من عملية الاسعاف، أو يعرضونهم أنفسهم للقتل، الأمر الذي تعرض له الدكتور خليل سليمان، وحدث على ضوئه ردة فعل شعبية قوية ، لا سيما أن المنقذين كانوا جزءا من القتلى والجرحى، تقول الشاعرة:

(هناك جنود بأسلحة يمضون

جنود من معدن يلقون قنبلة

على سيارة إسعاف

النار تتصاعد

وصراخ طبيب يحترق

وجنود بلا آذان

يحملون أذرع المنقذين

وهلال أحمر يحترق

وجموع تطارد الجنود
بعد أن غطى رداء
الطبيب الأبيض الساحات)

اغتيال

وتؤكد الشاعرة ان اغتيال الكوادر لا يعني انتهاء المعركة، فثمة كوادر أخرى قادرة
على المواجهة:

(أحرق أبنائي

بالصواريخ

رماد، رماد

وضع

في مدفاتي)

وضمن التوجه نفسه ، ما زال العدو يشعر بالضيق وبالخطر، ذلك أن كل ما يفعله
من مجازر، لم يؤثر في المواطنين، بقدر ما ارتد أثره عكسيا عليه:

(فليحيو في القبور

لا تصریح أعطي لهم

للاقامة في البيوت

وبعد أن قال ذلك

رأى

نملا

يسير

على

وجهه).

قصف البيوت

إن المشهد الدامي الذي يتركه قصف البيوت السكنية، لا يقل ضرره وأثره على ذوي الذين استشهدوا جراء ذلك، و الذين يشاركون في الانقاذ أيضا، والمشهد بغباره ودماره وأنقاضه ورماده مأساوي:

(هو أتى بالصاريخ

ودفن السكان أحياء

بين الخراب أطوف

ما أزال أبحث عن ابنتي بين الأنقاض

أجد رأسها بدون جسم

غبار

وتراب

تقع

من

يدي

تقع

وأنا

دوار)

وفي المشهد نفسه، نجد حتى العدو يتعرض للأذى نتيجة القصف، فقد تلطخت

سمعته، وتلطخت دولته بالدماء، وبالارهاب:

(البيت الذي انهال عليها من القصف

ركام، غبار

أرفع رأسها الميت
دمها الذي يسيل على
التراب
يذهب ولا يذهب
على تابوت
علق
سترة
الجندي)

ولتأكيد دور الأغنية في المقاومة، فإن في شعر أمينة العدوان، ذكر لها في اللحظة المناسبة، لحظة اغتيال الكوادر:

(صاروخ ألقى على سيارته
وحين احترق،
تقترب
وهو يبتعد
خطواته التي تسير
نحو الغياب
وداع ، صرخة ثم
صمت طال
حتى غاب صوتها
فقد نوت
الأغنية).

الخليل

وثمة تخصيص لبعض الشخصيات المناضلة، ولبعض المدن المقاومة، فعبداً لله القواسمي له موقف وطني خالد ومتميز، ففي مدينة الخليل، التي تتعرض لهجمة شرسة ترمي لتهجير سكانها..ان وجود السكان، ووجود المقاومة هو طرد للعدو من الأمكنة:

(رأيته يطرد جنود الاحتلال

من إحدى شوارع الخليل)

ولمذبحة مخيم جنين حضورها، وتفصيلها الدقيقة، التي تُبرز حتى دوره في الاعتداء على البيوت، وتدميرها على سكانها أحياء، بمن فيهم الأطفال، لتوضح أي معاناة عاشها أطفال المخيم:

(قصف،

البيوت أنقاض

ما زال يبحث عن والديه

يسمع صوت أنين

تحت البيت الذي انهال عليهم

أحياء

ما زال يزيح التراب

الفقدان أم الجريمة

لا زمن لها

ولا يوم

لهذا

الطفل

في الحصار)

ان جرائم الحرب هذه ، وإلقاء القنابل المحرمة دوليا على السكان العزل ، واغتيال الأطفال يبدو في هذه القصيدة:

(هل سأجدها تحت الأنقاض

أنبش التراب

ابنتي قتلها

لا أجد إلا وجهها الذي

أخرجته من تحت الأنقاض

وجديلتها المقطوعة

ما تزال في يدي

تهتز غضبا

تسير

وتطوق

رقبة

القاتل

(حبال

المعتقل

وتربط الشاعرة بين المقاومة بالفعل، وبين المقاومة بإحياء التراث وحفظه ضد انتحاله وسرقته ، وبكل ما يحفظ للتراث الفلسطيني ألقه ومجده، وتعتبر أن ذلك مكمل للدور الذي يقوم به الأسرى، والذي قام به الشهداء أيضا..ان من يحيك الثوب الفلسطيني ويجعل الجميع يرتديه ثانية فهم الشهداء والاسرى..انهم خيوطه:

(كيف يعصب العيون

ويقيد الأيدي
أي بيت يفرغ اليوم
القيد يؤلم
يوجع الأيدي
أترى الرداء الفلسطيني كيف نحيكه
الشهداء والاسرى
الخيوط

الأسرى

إن سياسة الاعتقال الاسرائيلية، والتعذيب الذي يتعرض له المعتقلون في السجون، وخاصة على صعيد حرمانهم من الحرية، ومن الوطن، والأهل، وتفصيل أخرى مذهلة تعبر عنها هذه القصيدة:

في هذا المعتقل
رأيت وجوها زرقاء
وأيد متجمدة من البرد
أرتجف
أنس كل شيء عن الربيع
الأسوأ من البرد
في هذا الشتاء القاسي
هذا الحارس
حمل الأغذية بعيدا
ودثرني بغيوم سوداء
وكل الفصول

عاصفة آتية

برد..زمهيرير.)

حواجز

أما معاناة الفلسطينيين على الحواجز الاسرائيلية، وما فيها من قتل للروح المعنوية، وإطالة لأمد الانتظار الذي يشبه الموت البطيء، وإطالة المسافات..كلها أمور تدفع من يتعرض لها للبحث عن نافذة للخلاص:

(أن تصلب على الجدار معظم الوقت

على الجدار

وجوه مكفهرة

مقهورة

تنتظر ساعات بلا جدوى

ترى من يحاول

أن يفتح فوهة في الجدار

فوهة الجدار

يتدفق من فمها

الدم

وكائنات تبكي.. ثم تمر)

الأسرى الأحرار

ومهما فعل العدو، ومهما ضاعف من أحزان ولوعة وعذابات للفلسطينيين وراء الحواجز، فإن لكل حديقة ووردة عطورها التي ستستمر في العطاء حتى لو قطفها العدو وأراد لها الذبول (اغتيال مقصود):

(بيتي أراه بعيدا، أسير نحوه
والطريق هو الحاجز
والقيد في اليد
والمنديل على العيون، والحديقة
في النعش
ونحن العطر الذي تبدد
الذبول
والوردة المقطوفة من
الحديقة)

راشيل كوري

ولقوى مناصري حقوق الإنسان، التي تشارك الفلسطينيين في ردود فعلهم الغاضبة،
والتي تطالب العدو بايقاف انتهاكاته، تتحمل هي أيضا غضب العدو، ونتائج حقه، فهو
لا يتوانى حتى عن قتل عناصرها، الأمر الذي تعرضت له البطلة راشيل كوري، حين
تصدت للجرافة الذاهبة لهدم البيوت:

(ايتها الجرافة التي تزهو بالخراب

البيوت التي تهدم

بكاء الأطفال

والعائلة الملقاة على الأنقاض

وكيف

السقف يقع على الرؤوس

والعائلة تحت الأنقاض

والخزائن من الغبار

والغطاء من البرد
والسقوف من المطر
تقف أمامها
والجرافة سائرة نحوها
تحاول أن تغلق
فمها
الواسع قبل أن
تبتلع البيوت
أسنان الجرافة تحاول أن تكسر).

الأسرى الأحرار

إن معاناة المعتقلين التي تطال أجسادهم وأرواحهم لا يعلم بها إلا من عاش محنتهم،
ففي سجن النقب، يوضع الأسير في خيمة، في الشتاء القارص ، لمواجهة برد الشتاء
القارص ، فجندي الاحتلال هو التعذيب هو الذي يزيد البرد في الشتاء القارص:

(في هذا الشتاء

لا سقف في الخيمة

ولا باب

إزرقاً وجهي

ارتجف في الهواء البارد

وذلك الحارس

مروحة).

وتجتمع في قصيدة واحدة، صورة العدو المفزعة، وذكر لبعض جرائمه اليومية
وخاصة على صعيد الذين يعتقلهم، ويعصب عيونهم، ويقيد أيديهم بقيد مؤلم جداً،

وتصور الشاعرة هؤلاء المعتقلين ، إلى جانب الشهداء، وهم جزء من المقاومة الفعلية،
وبمناوبة الخيوط في أودية الوطن التي ينسجها الشعب الوطن:

(كم يعصب العيون

ويقيد الأيدي

أي بيت يفرغ اليوم

القيد يؤلم

أترى الرداء الفلسطيني كيف نحيكه

الشهداء والاسرى

الخيوط).

وفي قصيدة أخرى ، العدو هو للأسرى الأحرار، هو البرد في الشتاء القارص، وهو
الأيدي المتجمدة من البرد والوجوه الزرقاء، حيث أغطية العدو غيوم سوداء، وعاصفة
وبرد وزمهيرير:

(في هذا المعتقل

رأيت وجوها زرقاء

وأيد متجمدة من البرد

أرتجف

أنس كل شيء عن الربيع

الأسوأ من البرد

في هذا الشتاء القاسي

هذا الحارس

حمل الأغطية بعيدا

ودثرني بغيوم سوداء

وكل الفصول

عاصفة آتية

برد زمهري).

حواجز لا ساحات

في ديوان "دخان أسود" نقلة نوعية عند الشاعرة أمينة العدوان، فبعد سنوات من الإنتفاضات المتكررة للشعب الفلسطيني، وبعد كل هذا العدد الكبير من الدواوين الشعرية، التي تعبر عن تضامنها العميق، وإحساسها بألم الذين يرزحون تحت الاحتلال، نجد قصائدها أطول من السابق، ونجد نفسها الشعري ينطلق إلى مداه، موغلا في التفاصيل الجزئية واليومية، مقترنا بالصور الشعرية النضالية والوطنية، دون أن ينسى إجراءات الاحتلال والمعاناة التي يتركها على الأرض، والألم والمعاناة التي يتركها في قلوب الجماهير الغاضبة، التي إن اعتصرها الألم، فهي تُجهز نفسها لدفع الظلم وردده:

(أن تصلب على الجدار معظم الوقت

على الجدار

وجوه مكفهرة

مقهورة

تنتظر ساعات بلا جدوى

ترى من يحاول

أن يفتح فوهة في الجدار

يتدفق من فمها

الدم

وكائنات تبكي

ثم تمر)

وثمة ربط بين المكان في قصائد الشاعرة، فالمكان حواجز وليس مساحات واسعة ولا أفق، وهو ليس حديقة ولا بيت ، فهو المعتقل والاسلاك الشائكة، والطرقات الموصدة، وأنقاض البيوت المهدومة والأشجار المقتلعة ، حيث الرماد والدمار والخراب ، بيوت مهدومة وأشجار مقتلعة ، وبين الانسان الذي يتعرض للاعتقال والعذاب، نعم، ربط بين المكان والأسرى والجرحى، الذي تصوّره الشاعرة بالعطر الذي يُبدد الذبول، والوردة المقطوفة من الحديقة:

(بيتي أراه بعيدا، أسير نحوه

والطريق هو الحاجز

والقيد في اليد

والمنديل على العيون ، والحديقة

في النعش

ونحن العطر الذي تبدد

الذبول

والوردة المقطوفة من

الحديقة)

مخيم جنين

وما زال لبطولات لمخيم جنين حضوره في الشعر، وإن دمره العدو، وارتكب فيه مذبحه طالت معظم القاطنين فيه، غير أن الدماء التي تسيل من الجرحى، هي التي تأتي بمقاومين جدد لرفع الظلم والثأر من العدو المدمر، فدماؤهم لن تذهب هدرا:

(الآلاف تحت الركام

جرحي،

ودمي

يأتي لي

بمقاتلين

(جدد)

وعن بطولة وشجاعة المقاومين في مخيم جنين ، تقول الشاعرة:

(لم يستسلم وان رأى

الأسلحة الثقيلة والجنود

قاوم،

جنود قادمين

حارب وحده جيشا

ووقف في المخيم

درعا

وسيفا

صورة النزيف).

ومقابل خسائر المقاومة البطولية في مخيم جنين ، فللعدو أيضا خسائره، فلولا الاستعانة بالطيران لما استطاع أن يجتاح العدو مخيم جنين من بطولة وشجاعة ومقاومة الشعب الفلسطيني، ففي المخيم لم يستطع أن يجمع المحتل ما يسقط من رموزه (النجمة):

(المقاتلون الشجعان

يدافعون عن المخيم

نجمة تقع

وحده الجندي
لا يريد أن يلتقطها
يراهها
تحرق يده).

وينجلي المعنى نفسه بصورة أوضح ، في قول الشاعرة ، في قصيدة أخرى ، حملت
عنوان "مخيم جنين":

(كان المقاتلون رصاصا
يحاربون ، بشجاعة
ناظرا إلى رصاصات ضائعة
الجندي كان هاربا
من المخيم
وأسلحته تقع في الطريق).

فقدان الأمن

إن البيوت الآمنة، وسكانها الآمنين ، هم الذين يتصدون لجرافات العدو، يصمدون
أمامها، ومهما فعلت بأرضهم وبيوتهم ، ومهما علا في الجو من ظلم واستبداد، ومهما
تراكم من غبار وبرد، فإن المقاومة، هي التي ستضع حدا لهذه الجرافات ، وذلك إما
بمنعها من المضي في التدمير والخراب، أو بالمقاومة:

(أيتها الجرافة التي تزهو بالخراب
وكيف البيوت تهدم
السقف يقع على الرؤوس
والعائلة تحت الأنقاض
والخزائن من الغبار

والغطاء من البرد
والسقوف من المطر
أيتها الجرافة
توقفي
والجرافة سائرة نحوها
تحاول أن تغلق
فمها
الواسع قبل أن
تبتلع البيوت
أسنان الجرافة تحاول أن تكسر)

جرافات

إن الحديث عن المنازل المهدومة، وعن الجرافات وما تفعله بالارض وبالمواطنين الفلسطينيين ومنزلهم، هو الواقع الذي يتكرر يوميا، ويتحمل الشعب من ورائه أفدح الأذى المادي والمعنوي، فهذا العدو القادم من آخر الدنيا، باتجاه المواطن الآمن في بيته، يطلب منه إخلاء أمتعته لكي يهدم مأواه ، وبعد الهدم يتشتت أطفاله، والمجتمع الدولي صامت لا يفعل شيئا:

(قال له: الق أمتعك

سأهدم البيت

لا تبق..امض سريعا

بعض الأمتعة

وجرافة

وغبار

ولا بيت يبدو
أرض فارغة
أين سينام هذا الطفل اليوم.)

شرارة المقاومة

وفي الشعر كما في الواقع، عدو يمارس المذابح والمجازر، ويغطي جرائمه في مقابر جماعية، ويترك على الأرض المصائب والخراب، الأمر الذي يدفع الشعب إلى أن يقاوم، ليرفع الظلم عن نفسه:

(لاتزال عيني دموع

ألوح مودعا

قبور جماعية

وأكفان بيضاء

لا ابتسامة.. لا فرح

وأنا أصبح كائنا

من نار ودخان

لأطرد البرودة

فهذا القاتل

منخفض جوي).

وتصور قصائد الديوان رفض المقاومة لقيود العدو، ورفض المعتقلين للقيود التي توضع في أيديهم ليتوقفوا عن المقاومة، فالأيدي المقيدة ليست أيديهم، لأن أيديهم التي تقاوم لا تستسلم للقيود

(القيود يضعها في الأيدي

ولكن الأيدي في القيود

لم تعد منا)

وتوضح هذا المعنى أكثر في قصيدة أخرى جاء بها:

(وجدت الأيدي فقط

لكي يربطها بالحبال البلاستيكية

فلا الحبال بقيت في يدي

ولا يدي

قيوده

هكذا اعترضت)

وثمة مفارقات فنية وموضوعية ، وصور ضدية حيث المقاومة نهار أمام ظلام العدو ، واخضرارها أمام سواد العدو، والعدو فناء والمقاومة عطاء، والعدو موت، والمقاومة حياة:

(على أوراق سوداء

كتب اسمي

يبدو أنني أوراق شجر أخضر

والأجنحة

ليس الا

على

أوراق

تطير)

المبعدون

أما المبعدون، فلم تنس الشاعر التوقف عندهم، فهو يرفضون الاقتلاع، ويرفضون أي منفى، ويرفضون الانصياع لقرارات العدو الرامية لتسفيرهم عن وطنهم، ويرفضون أي منفى:

(كما لو أنني طردت من منزلي

يكون

غرفة أعدها لي في الفندق

أغلقتها

دون

تردد).

المطاردون

وأما المطاردون، فالعدو لا يترك شبرا من الأرض إلا ويبحث عنهم فيه، بل إن تفتيشه يطال كل البشر الذين يصادفهم بحثا عنهم:

(أطارد

وقد وضعت

وطني في يدي

وتبدأ أحاديث كثيرة

عن التفتيش في كفي

والمطاردة)

وتبلغ جمالية الشعر أشدها، حين يبدو العدو هو المُطارِد، والمقاوم هو الذي يُطارده:

(بنى الكثير من الأسوار

وبقي مطاردا، مطاردا

خلفه

كثير من

العدائين)

الملتزمون

أما الملتزمون، فهم أيضا المقاومون الذين يقاومون الموت والإبادة والتدمير ، وتجدد المقاومة، هنا المقاومة ضد الاغتيال والمحو والإلغاء والحجب بوجه يبدو بنضاله كل يوم أكثر وأكثر مما يريده العدو وهو أن يحجبه ويمحيه:

(الملتزم

وإن أخفى

وجهه

يرى).

الشهداء

وأما الشهداء، الذين ضحوا بأرواحهم ، والذين لا يلفون إلا بالعلم رمز فلسطين رمز الوطن الذي لم يتخلوا عنه ويموتون من أجله:

(في الأكفان

ما زالوا

علم

وطنهم

يخبئون)

إن الحرب غير المتكافئة التي يشنها العدو، هي أيضا موضع نقد في الواقع وفي الشعر، فهذه الترسانة العسكرية التي يمتلكها ، والتي تحتاج إلى دول عظمى لمواجهتها، توجه إلى مواطنين آمنين عزل ، فتوقعهم قتلى وجرحى وأسرى ومبشرين ومشردين، فأية حرب هذه؟:

(أكفان أكفان)

أمام جيوشه التي حاربت

سكان عزل

جنود حاربت).

العلم

إن العلم، برموزه ودلالاته الوطنية المقاومة ، وفي مقدمتها العنفوان والنصر الدائم شموخ الوطن وكبريائه ، وهو هنا تكرر بصورة آلاف الشهداء الذين استشهدوا لكي لا يبطوا العلم والوطن:

(أتذكر فقط..

لا أنس

رحل بي

علم يبتسم).

وتضيف في قصيدة أخرى:

(وان تدفق دمي

والعلم والكوفية

لا تمضي بدوني

منذ وقت طويل)

الساحة الدولية

ومن الواقع المحلي في فلسطين، ينطلق الشعور إلى الساحة الدولية، ليرينا ردة الفعل العالمية على المجازر التي يرتكبها العدو، والتي تتمثل في إرسال لجان لتقصي الحقائق، وهذه اللجان تتعرض مثلها مثل غيرها إلى مقاطعة العدو، وإلى تعطيله لاجراءاتها، ليستمر في جرائم حربه المرفوضة دوليا:

(هم الآلاف الشهداء

في كل مدن العالم

فكيف إذا طرد ثلاثة شهدود

هل ترحل التهمة)

الكوادر الطبيّة

وفي هذا الديوان أيضا وقفة عند جرائم الحرب ، وعند الكوادر الطبية التي تهب لنجدتهم وإنقاذهم وإسعافهم، وعندما يحول العدو بين الطبيب والجريح، يُصبح المشهد أكثر مأساوية:

(أطباء أمام الجرحى

يمنع أن يسعفهم

أخذوا منهم

معافهم البيضاء)

الحصار

إن فرض حظر التجول، وحظر السفر، وإغلاق الضفة والقطاع على من فيها، وجعلهم يعيشون ظروفًا مأساوية تفتقد للكثير من المقومات الإنسانية وتدوس حقوق الإنسان وتجعله كائن بلا حقوق:

(بين حاجز وحاجز)

انتظار طويل

تأخر..رحيل

ضياع الطرق

أيام ضائعة)

الاستشهادي

إن ذلك كله، هو الذي يدفع الاستشهادي، الذي يرفض أن تتحوّل الأرض الفلسطينية إلى سجن كبير، تقول الشاعرة تحت عنوان "استشهادي":

(وإن أوصد الأبواب على السكان

القفل بدأ يصدأ

لم يعد يغلق عليه)

أوجه المقاومة

وللأعلام والكوفيات، وغيرها من أدوات المقاومة، ورموز الوطن، دور في المواجهة، وفي الرد على صواريخ العدو:

(صاروخ

وهو أشلاء

كم أتت جموع ومكثت هنا

حيث الأعلام

والكوفية

لا تغادر

غرفته).

وفي صورة أكثر إيضاحا ، تقول الشاعرة:

(وطني

شهداء، جرحى

كوفيات، وعلم)

جرائم الحرب

إن جرائم الحرب التي يرتكبها العدو، والتي لا تجد من يتحدث عنها، يقف الشعر الوطني الملتزم في مواجهتها، وفي تعداد أدواتها(طائرات اف 16، وطائرات اباتشي)، وفي تعداد ما تقوم به(قصف البيوت السكنية على من فيها من السكان العزل)

(يتساءل عن جرائم الحرب

اف 16، والأباتشي

تقتل سكانا عزل

يتساءل

على البيوت السكنية

كيف يأمر بالقصف؟)

وبقدر ما يثير في الأرض من خراب ودمار، وبقدر ما يلحق بالانسان الفلسطيني من عذابات وويلات، إلا ان الاستشهادي يجعل العدو يُحس بالعذابات نفسها. وبقدر ما يضع العدو من جدران وحواجز فالمقاومة تسقط الحاجز الذي هو رمز للعبودية والإضطهاد

(كثيرون أداروا وجوههم للحائط..)

وأنا صوت

حائط

(سقط..)

فعاليات وطنية

وفي الوقت الذي يذكر فيه الشعر الشخصيات الوطنية المناضلة والتي تتجدد باستمرار من جيل إلى جيل، فإن الشعر يخلد أيضا أسماء بعض التنظيمات الوطنية التي تتصدى لممارسات العدو:

(البيوت يخرج منها أبناؤها

مقيدي الأيدي

معصوبي الأعين بالمناديل

في الطرق،

ترى

ربما كتائب الأقصى

أو عزالدين القسام

فقط تبدو منها العيون

ومناديل كثيرة تقع)

دماء

وتلخص الشاعرة كل ما يجري في فلسطين على اعتبار ان لها خصوصية ، بالدم المسفوح على ثراها، من أجل الصمود عليها، والتضحية من أجلها، وتحريرها من الغاصب:

(لا وطن إلا فلسطين)

دم يبدو

في كل الأمكنة.)

التوثيق الشعري

ولأن الشعر هو الذي يوثق ويؤرخ للمرحلة، لأنه الذي يسجل بأدواته الفنية النضالات والتضحيات التي تجري على الأرض، فإن العلاقة بين الشعر والتاريخ قوية، ومضخة بالدماء.. ان التاريخ الفلسطيني تمثل في المقاومة، وهو يقاوم الاحتلال ويكتب إلا بالدم:

(دمننا في كل الطرق

هو الذي يروي التاريخ)

وتوضح ذلك بجلاء أكثر، حين تقول:

(كيف يريد أن يخفي كتب التاريخ

لتصبح المدن والقرى له

بسرعة

يمزق

الأوراق).

الأرض

وفي قصيدة أخرى، تؤرخ الشاعرة لما صنعه الاحتلال ، حين صادر الأرض وأنشأ عليها المستوطنات، وما زال يصادرها:

(كان يبحث عن الوطن

نظر، لم يجده

عيونه

لا مكان

تنظر إليه).

جرافات

ومهما بدا المواطنون عزل، ومهما رأيناهم وهم يتصدون لجرافات العدو ، نساء ورجالا وأطفالا، فإن السكان العزل أمام فداحة الخطب وشدة الخسائر التي تطالهم في أرضهم وأرواحهم لهم أيضا دور نضالي آخر:

(الحزام أحاط بالجرافة

منزلي

قبل

أن

يتهاوى).

نبض الشارع

والشعر أيضا هو الذي يعبر عن نبض الشارع، وعن رؤيته لحصار العدو أيضا، والتي تتمثل في هذه القصيدة بالدوائر التي تتخلل الاسلاك الشائكة لم يعد إلا هذه الأسلاك الشائكة تلتف حول السكان ... ألم وجرح وحصار:

(أسلاك شائكة

تلتف حول الكائنات

وهو السجنان

لم يعد

إلا هذه
الدوائر)

انتقام

والشعر أيضا هو الذي يُبدي المقاوم في اللحظة التي ينتقم فيها من العدو، ولو كان موقعه في أكثر المناطق أمنا له، وهو الذي يُبدي العدو ، وهو يستخدم الدبابة للقتل، والمحكمة لإخفاء جرائمه، والقول ضد الحق ، حيث القوة هي الحق، والظلم بالقوة العسكرية حق عند هذا الاحتلال:

(ها أنا القاتل
حين آتي إلى المحكمة
بالدبابة
أخبيء القاضي
بالخوذة)

شهداء

ما أروع المشهد الذي ترسمه الشاعرة أمينة العدوان للشهداء، إن استشهادهم ، ويأتي بالحرية، ويطرد العبودية:

(كل الشهداء
وإن ناموا
نوما أبديا
وحدهم من بقي
يوقظ النهار)
إخفاء الجرائم

إن قيام العدو باخفاء جرائمه، لا يعني طمس تلك الجرائم، فثمة إعلام يفضح العدو وانتهاكاته وجرائمه:

(المناديل تغطي العيون

وعن الظلم

الضوء

يشيح بوجهه)

جدار الفصل العنصري

إن جدار الفصل العنصري، والحصار الذي يفرضه العدو على السكان، هو حصار له نفسه، فهو قيد مزدوج الأثر والضرر، بل بالعكس، فلدى المحاصرين الفلسطينيين، من لديهم القوة والقدرة على القفز من فوق كل الحواجز، إلى الأبواب، والنوافذ والساحات الفسيحة رمز الحرية ضد الحواجز والقيود والأسوار التي تضيق تضيق وتخنق السكان:

(يبني سورا..أسوارا

ويبقي

خلفه

كثير

من

العدائين)

وتقول في قصيدة أخرى:

(حواجز، حواجز

أقف أمامها مقاتلا

فتأتي الساحات).

ويبلغ التحدي مداه، حين يُعلن المقاومون أنّ الاحتلال يجعل نهار السكان ليل
دامس، والمقاومة ، ولدحر الظلام/الاحتلال ، أين النهار وفضاءاته ، مفقود ، هذا
يدفعهم لمقاومة الاحتلال:

(بيوتهم لا نبالي

ان هدمنا

وان تبنى سور لنا

بما يكفي

أن نجب الشمس

هناك تجعل النهار لهم

ليل وراء ليل

(خسوف)

المراكز الثقافية

وتتوقف الشاعرة أمينة العدوان في قصائدها عند دور المراكز الثقافية، في التوثيق
للمرحلة، وفي التوثيق للنضال الوطني، وفي تسجيل إنجازات رجال المقاومة من مثل
عز الدين القسام في الماضي، وصلاح شحادة في الحاضر، وهذا التوثيق، يضع أمام
العدو الحقائق كما كانت قبل أن يدمرها الوطن، والشعب الذي لم يضيع ويباد كما أراد له:

(في الأوراق التي مزقتها القصف

وجد عز الدين القسام

وصلاح شحادة في الصفحات

فوجدت الكائنات الضائعة

منازلها)

مركز خليل السكاكيني

وتؤكد الشاعرة ذلك كله في قصيدتها عن "مركز خليل السكاكيني" وكيف داهمه العدو لأكثر من مرة ، ودمر محتوياته، لاختفاء التراث والتاريخ الوطني والنضالي وإلغاء الذاكرة:

(كنت أقرأ هذه الكتب

حين مزق صور أدباء فلسطين

وألقى الكتب من على الرفوف

قارئا سميح القاسم

أبعد يده

عن

عيني).

إن الحديث عن الشهداء، هو مشهد يتكرر يوميا على الأرض وفي نشرات الأخبار،

فكثرتهم تعني كثرة الذين يقاومون:

(أكفان ، أكفان

تقيم في البيوت

على الجبهة

جنود حاربت)

وكذلك الحديث عن الجرحى، فهو الذين يسطرون بدمائهم ملاحم نضالية تعيق

العدو عن تنفيذ مخططاته:

(الشارع
لم
يعد إلا جرحى
ودماؤنا
تطوي
ملابس
الجنود)

قصص النضال

ورغم قصر القصائد، إلا انها تستوعب قصص النضال وحكاياته ، فتروي كيف يتم اغتيال الكوادر، كيف تُطلق النار على سياراتها فتحترق بداخلها، وتستمر قوافل الشهداء، ويستمر النضال والعطاء، ولا يتم الرحيل عن الأرض أبداً، إلا بالاستشهاد، رفضاً للذل والعبودية والاحتلال:

(كل الطرق تشيِّعه

جسماً ممزقاً

هذا الكائن الذي

يحارب وحده

يريد وطنه حراً

والصواريخ تطارده

وتصبح السيارة

هيكل كائن محترق

في الأيدي

يبقى الجمر

لكي نرحل

شهداء

لا

عبيد).

خارطة النضال

إن احتراق الكوادر، وتمزق أجسادها إلى أشلاء، لا يعني توقف النضال والمقاومة، إنَّ احتراق الكوادر من صواريخ العدو ، لا يعني توقف النضال والمقاومة، إنَّه يبيِّن عمق حب الوطن ، لا شهيد يستشهد في فلسطين إلا في يده علم فلسطين أو خارطة فلسطين أو مطرقات أو لوحة أو مقالة عن فلسطين ، هنا العمل الحياة ، والموت اليأس، حيث الحياة مثل الموت في ظل الاحتلال::

(وجهه المحروق)

نام

على الخارطة

يد

أو قدم هناك

هنا

من الأشلاء هارب).

الطفولة المعذبة

أما الطفولة الفلسطينية المعذبة، فهي التي تتحمل إلى جانب الكبار وزر الاحتلال وجرائمه، فحين يتم القصف الاسرائيلي، وتموت الأم، ويموت الأب، ويبقى الطفل وحيدا

بين الركام يبحث عن والديه وعن أفراد أسرته... إن هذا الطفل الذي يرى هذا المشهد، هو نفسه الذي سيرفع مشعل المقاومة:

(سار طفل وحيد بلا والدين
بحثا عنهم أحياء تحت أنقاض البيوت
ولا مأوى
ركام... لا بيت
ضباب سماؤه
وغيمة يسير.)

وعن الطفل في مخيم جنين تقول:
(السكون يمتلئ بالفقدان ممن رحلوا
والذين دفنوا
تحت الأنقاض أحياء
الطفل لا يسير
بلا أبواه
طارت قدماه
في الهواء.)

هذا المشهد نفسه يتكرر، ولكن بصورة معكوسة، فالأبناء يموتون ، والأب يبحث عنهم، في مشهد يسحق القلوب لمأساويته:

(يبدو ضوء الصواريخ
الليل، رعب وموت
أبحث عن أبنائي
بين النوافذ المحروقة

والجدران السوداء
على الأرض وجدت أبنائي
فحم أسود
هنا قلبي احترق
وتصاعد منه الدخان()

مروان البرغوثي

إن الشخصيات الوطنية، التي لم يُرعبها العدو حتى عن النضال من داخل السجن، تستحق أن يتحدث الشعر عنها، وأن يوثق مواقفها، إن قصيدة "مروان البرغوثي" المنشورة في ديوان "دخان أسود"، فهي تعكس مشاعر البطل عندما يُعتقل، ويرى الاقفال توصل الزنزانة، وتحيل نهاره إلى ليل وعذاب، وتجعله يموت ببطء، هذا الرجل نفسه، هو الصامد والمقاوم ومثله من الأبطال المناضلين، والذي أجبر الاحتلال على الانسحاب من غزة:

(أغلق علي خمسة أقفال
ووضعتني في حجر
العزلة في عالم خال من البشر
لا ليل، لا نهار أرى
الأمكنة الكثيرة ، مكان واحد
واليوم يمضي عدة أيام
والحشرات الزائر الوحيد
والابن والزوجة سفر رحيل
ذلك الاعتقال الذي أراده لي
هذا الحارس

ليقتلني ببطء
هل أنا قريب أم
بعيد
أم أنني في بحر
غزة
القيت
القفل.)

قوائم .. وألوان

وليس مروان البرغوثي فحسب، فكل عربي مطلوب للاحتلال، مطلوب للقتل
والإبادة، تقول الشاعرة تحت عنوان "قوائم وألوان":

(يكتب أسماءنا بقوائم معدة للقتل

في قوائم سوداء

يقتل أحد منا

ويمحى اسم

ينظر إلى ما بقي

من أسماء

بقي لكي يقتل

لا يجد

الا

بقعة

من دم.)

رفض الاستسلام

إن اغتيال الكوادر، وتصفية المقاومين، لاحتلال الأرض دون مقاومة، وتنفيذ مخططاته بها، وإقامة كيانه على أنقاضها، بالمقاومين الراضين للاستسلام ، والذين يعملون على إسقاط القيود، وتحرير الوطن:

(دماؤه

تكتب أسماء المدن

أقف أمامه

أحاول أن أوقف النزيف

ثم رحيل وبرود

كيف يرحل

ومن يدي

أسقط القيد

لا لون يأتي

لا لون بعد أن تحتضر الألوان

لا لون بعده

شحوب.)

تضامن

وأجمل ما في الصور التي تتحدث عن المقاومة في أثناء الحصار الذي يفرضه العدو على الأرض الفلسطينية، هذا التضامن بين الانسان والانسان، وبين الانسان والأرض:

(كان يحاصرني بالجوع

فسارت أشجار الزيتون

غاضبة

وأعطني ورقة.)

الغازات

ولم تبق الشاعرسة سلاحا من الأسلحة التي يستخدمها العدو، إلا وذكرته في قصائدها، حتى الغاز المسيل للدموع، والذي تعددت أنواعه وآثاره ، قالت عنه تحت عنوان "غازات":

(هذا الرأس المرفوع

تلقى عليه قنابل الغاز

ويقول

فليدوخ، فليدوخ.)

الفصل السادس

ديوان : السور المهدهوم

في هذا الديوان، تكتب أمينة العدوان عمّن يسطرون بدمائهم ملحمة الخلاص من كابوس الاحتلال، تكتب عمّن يمتطون صهوة الإقدام والشجاعة والenfوان، لكي يُغيروا الواقع المعكوس، فيثبتون عمليا أنهم أصحاب الحق، والأجدى بالبقاء..

تكتب أمينة العدوان عمّن يشقون طريقهم الصعبة والوعرة، بكل ما لديهم من عزيمة ونخوة وشهامة وكرامة، بين دبابات العدو وأرتال جنوده ، وتحت قصف طائراته وبوارجه، لكي يُغيروا، ويُجبروا المحتل على الرحيل.

وتؤكد الشاعرة أن أولئك، وفي أثناء مقاومتهم تلك، تُحنّي دماؤهم الزكية ثرى فلسطين الطهور، وقبل أن تتغلغل الدماء في عروق الأرض والشعب والتاريخ، تغرس الشاعرة قلمها في قرطاس الوطن، وتسكب حبرها بعمق في تربة الابداع، فيثمر قصائد وطنية قومية مقاومة ، تؤثر في القلوب والعقول والأرواح في آن:

(دما أعلام كثيرة)

على المباني)

(لا وطن

إلا فلسطين

أسير

بدمي

إليه)

* * *

(حين عدت بالعلم

منفى لي رحل)

ومع نشيد أمينة العدوان المؤثر، تستيقظ أشجار العطاء، ليتساقط جناها متمثلاً في
دواوين العز وقصائد الكبرياء، وما بين تضحيات الأهل في فلسطين، وما بين دواوين
أمينة العدوان، يشمخ وهج التاريخ بكل زهو وعنفوان.

نقرأ في ديوان الشاعرة أمينة العدوان "السور المهذوم" عن الجود بالروح والدم
فداء للوطن وسعيًا نحو حريته، واسترجاعاً للكرامة، واقتراباً من خُطى التحرير،
فنعيش بين مناخ التفاعل بين القلم باعتباره من أدوات المقاومة، التي تؤكد على العطاء
القومي والانساني، وبين الكلمة الشعرية المسؤولة التي نذرت نفسها للحق والحرية
والحياة.. وبين المجاهدين الذين يرسمون على الأرض بدمائهم، كل ما يبدي وطنهم حراً،
وأهله أجراء، وكل ما يقترب بالوطن ومن فيه خطوات سريعة باتجاه النصر على
الأعداء:

(كنت الأشجار

حين أحرق

الغابة.)

في ديوان "السور المهذوم" كلمات صادقة، تمتزج مع الدم في ساحات الوغى،
وميادين النضال، لتثمر أملاً ونوراً، يؤكد مجد الوطن وعزته وشموخه وقوته..

وفي الديوان كلمات ، تحكي قصة المقاومة وفعلها وأثرها ، ونارها المتأججة المقدسة، التي تحرق كل من يحاول المساس بالأرض ، والمقدسات، وأي من مقومات الحياة.

كلمات الديوان تنغرس في تربة الاستشهاد، وفي ثرى المجد، ليلتئم شمل المقاومة، ومجد المقاومين ، كُرمى للوطن ، ولتكريس انتصار الحق والعدل وتحديدًا بالدم.

في ديوان "السور المهدوم" ، الشعر الذي يصور المقاومة وهي مندفعة نحو الاستمرارية ، ونحو اتساع المدى، فيرتفع الصوت من أجل الإسراع في جني حصادها، وتحرق النار جبوت العدو، فيبدو نور الخلاص ، مضمخًا بالاستشهاد، وصروحه الشامخة، حيث الأجساد الطاهرة، التي تتألف أكفانها من أعلام الوطن، والتي يتعانق فيها الشهيد مع الأرض متجذرا في أعماقها، وفي الوقت نفسه، مُحدثًا ، مجد المقاومة، وكرامة النضال، فمن بقي ، يحمل أمانة ثقيلة، تدفعه للقيام بعمليات نوعية، وبممارسة بطولات فذة، انتصارا للحق والعدل والانسان.

في ديوان السور المهدوم، تصوير لمن يدافعون عن شرعية المقاومة ومشروعيتها، فتبدو في أجلى صورها، وأرفع قيمها ، وأسمى نماذجها في مواجهة من يتهمونها بالارهاب.

توثيق

وفي قصائد أمينة تصوير لتضحيات المقاومين وبطولاتهم ومعاناة أسرهم، وفي شعرها بعامة، تصوير لدور المقاومين ولمكانتهم ، فيؤدي هذا الوعي الفكري والثقافي عند الشاعرة ، لمواجهة أي ضعف ، أو تفتيت للثقة، أو المساس بالارادة الوطنية ، فيبتعد بنا عن الاستسلام والانهازامية، ويقتررب بنا أكثر باتجاه المبادرة لكل فعل منقذ ، لكل فعل لا يصنع الهزيمة ولا يكرسها ، بل يُسند المقاومة معنويا، فيجعلها قضية شعبية،

وفعلا وطنيا، له جذوره الممتدة عبر تاريخ الأمة وما فيه من نماذج من المجاهدين والأبطال والقادة والوطنيين الحقيقيين ، تقول الشاعرة:

(كتاب التاريخ في يد الشهيد

أوراق مغطاة بالدم والتراب

ويد الشهيد تملأ الورق.)

خارطة الوطن

إن توثيق الشعر للمقاومة، لا يُعفيه من توثيق نتائجها الطاردة للاحتلال وآلته الحربية، فخارطة الوطن ، بل الوطن نفسه، أكثر صلابة، من أن تخترقه صواريخ العدو، والمواطن نفسه، وان استحال إلى أشلاء بفعل تلك الصواريخ، فثمة مقاومة ستجليه عن الأرض وتحررها ومن عليها من برائن العدو:

(صاروخ حارق

وضعت يده على الخارطة

ومن أشلائه

هاربا.)

جدران .. وحواجز

إن قيام اسرائيل بتشبيد جدار الفصل العنصري، وإقامة الحواجز العسكرية المزعجة للفلسطينيين، والتي تحول مدنهم وقراهم إلى سجون ، وتحرمهم من حقهم في الحرية، وتُضيق الخناق على أوضاعهم المعيشية والاقتصادية، وقيامها كذلك بتدمير المنازل، وحرمان الأسر من مأواها، لا يعني النهاية ، فالمعنويات مرتفعة وشامخة، أما العدو فهو الخائف والمرعوب:

(كم من سور بنينا

وهدمنا البيت
ولكن البيت لم يختف بعد
مثل نصب تذكاري
نزورة مارّة
خانفين.)

سياسة الاعتقال

أما سياسة الاعتقال الاسرائيلية ، التي ترمي إلى تصفيد المقاومين، وتعذيبهم، وحرمانهم من الحرية، والحيلولة بينهم وبين ذويهم من فرصة العيش الكريم ، فهي أيضا لا تعني النهاية، طالما أن الأرض قادرة على إنجاب المزيد من المقاومين ، الذين سيعملون على تحريرهم، وتحرير أرضهم:

(فرسان غابوا
وفي الساحة
خيول تنتظر.)

قيود

وفي قصيدة أخرى توضح الشاعرة أن الاحتلال ليل، وسجونه وقيوده ظلام، وأن المقاومة نهار وضياء، وأن النهار يزيل الليل مهما كان ظلامه قاتما:

(بين القيد والقيد
أصابعي ضوء
حيث ليل يكون
ولا أكون.)
وتضيف:

(القيد ثقيل)

أنساه

حين

أحرك

يدي)

سياسة التجويع

أما سياسة التجويع الاسرائيلية، والرامية إلى إجبار المواطنين على الرحيل بحثا عن لقمة العيش، فهي أيضا لم تُجد، فالمواطن الصامد، يُفضل الموت جوعا على مغادرة أرضه، وفي الوقت نفسه يزرع أرضه، ويُعمرها بالمحاصيل التي تضمن العيش الكريم لنفسه ولأسرته ولغيرها من الأسر الفلسطينية، أما حرمان المعتقلين من الطعام، فلا يعني أنهم لا يمتلكون القدرة على تقاسم ما يملكون لضمان الحياة حتى التحرر واستئناف النضال، تقول الشاعرة تحت عنوان (اضراب المعتقلين):

(ها هو يقسم رغيف الخبز الجاف

على ثلاثة أشخاص

فلنتناول خبزا آخر

وليس من أحد منا لم يزرع القمح.)

مخيم جنين

وتصورّ الشاعرة في قصائدها المعنويات المرتفعة للمواطنين، فصمود مخيم جنين في وجه قوة حربية هائلة ، وتكبيده العدو خسائر فادحة في الأرواح والآليات، وكانت نتائجه معكوسة عند العدو:

(بعد مذبحه جنين

السور الواقى
يتصدع
والجماهير العربية
تسير
وتكون
الشفوق.)

استشهاديون

وتُعِيد الشاعرة الفضل لأهله، وتذكر صاحب الفضل بالاسم، كيف لا ،
والاستشهاديون والشهداء من الجنسين، ومن كل الأعمار، هم الذين يلتقون العدو درسا،
يجعله يفكر ألف مرة، قبل ارتكاب أي جريمة بحق المواطنين العزل، لأنه ثمة من
سيتصدى له ، ويعاقبه...وتلخص إحدى قصائد أمينة، والتي تحمل عنوان " هنادي
جرادات" ، كيف ان هذه البطلة، ثارت لصيادي بحر غزة، الذين حرّمهم العدو من
الصيد، وصادر شباكهم وعدة صيدهم:

(وللقاتل الذي حمل كل الشباك

ومنع الصياد من الاصطياد في بحر غزة

على طاولته

أضع سمكة.)

رموز وطنية

أما الشهيد ايهاب الرنتيسي، فلمشهد استشهاده صورة جميلة، استوعبها الشعر،
واستعرض أبرز ما فيها من عظمة ، ومن رموز ودلالات وطنية، كلها ضد الموت

والفناء، وكلها مع حياة الكفاح المستمرة والمتصلة من الشهيد إلى من يرثون النضال
والمقاومة من بعده:

(بيت من الأجنحة

وكثير من الطيور

وذلك الصياد الذي

لم يقتل إلا الطائر فيك

وإن أتى لك بالموت

إنك أكثر من موتك

تحلق

بالرمز.)

شهداء

إن قصائد الشاعرة أمينة العدوان، تصوّر المواقف الوطنية للفلسطينيين، الذين
يرفضون الاستسلام، فإن سقط شهيد، فثمة مقاومون يأخذون مكانه للدفاع عن وكنهم،
وللاستشهاد على خطى من سبقوهم:

(لا مكان كي أجلس

شهيد

يترك

لي

مقعه.)

هدم .. وبناء

وفي سياق العمليات الاستشهادية نفسها، تصور الشاعرة ، كيف أن هدم البيت، هو السبب في القيام بالرد على العدو ، فتكون الحقيبة التي تتضمن الرد ، هي بمثابة إعادة تشييد للمنزل الذي هدمته الجرافة:

(الحقيبة وجدتها

في الجرافة

منزلي

قبل

أن

يتهاوى).)

رموز وطنية

ولأن للعلم رموزه، وللكوفية دلالاتها، ولأن العلم والكوفية بدل من النجمة والقبعة، جزء من الفعاليات الوطنية، ومن النضال والتراث والفولكلور الوطني، وأيضا لأنهما من أدوات المقاومة، فإن لهما حضوا في المشهد الفلسطيني، فطالما ارتفع العلم، وطالما بقيت الكوفية شامخة على الرأس أو حول العنق، فثمة حياة ووطن يتجدد بالشهداء:

(وإن تدفق دمي ورحلت

العلم والكوفية

لا تمضي

بدوني

منذ وقت

طويل).)

رموز دينية

وحين يرتبط الرمز الوطني، المتمثل بالهوية والكوفية، مع الرمز الديني المتمثل في الكنيسة، يكتمل المشهد النضالي، ويحقق أهدافه في مواجهة الحصار:

(الحصار

حول

الكنيسة

هوية

لي

وكوفية.)

دلالات وطنية

إن العلم ، والكوفية أيضا، لها دلالات مهمة، فهي تمثل الهوية والوطن، والمطالبة بالارض وضرورة تحريرها، وإثبات على أن الوطن ما زالت حاضرة في النفوس ، وما ماتت:

(إني بالرغم من التعذيب والاعتقال

أقول

سأحرر وطني

أنادي

وطن حر

بصوت عال

أرفع يدي

فوق القيد

أنادي أمام القضاة والسجانين

أنادي..أنادي

ارحل..ارحل

أريد وطني حرا

وبالموت لا أبالي.)

إن العدد الكبير من الشهداء الذين يسقطون بفعل آلة العدو، وكذلك الجرحى الذين يروون أرض الوطن بدمهم الزكي، هم أنفسهم، الذين يتسببون في قيام من لم يطالهم فتك العدو بالثورة عليه:

(في الشارع

الجرحى والشهداء

وعلى القاتل

تهب

عاصفة.)

صحفيات

أما الصحفيات، شيرين أبو عاقلة، وشروق أسعد، وجيفارا البديري، وغيرهن اللواتي يقمن بدور المقاتلات والمقاومات بين القصف وصوت الرصاص، إتهن محاربات في الجبهة، عندما يقمن - وهن عزّل من أي سلاح بين الرصاص والقصف - بتغطية جرائم العدو، وإطلاع العالم على ما يصنعه بالفلسطينيين، فإنهم أيضا لا ينجين من الاعتداءات:

(أنت شروق أسعد

ويضرب رأسها

على حاجز

لا ضير في ذلك

فالأمكنة كلها
حواجز
لا تتكى عليها الرؤوس.)

* * *

شروق أسعد بعد مذبحه جنين
الطرق مقفلة
أمام الصحفيين
وشاحنات الجنود في الظلمة
تدفنهم في قبور جماعية
ليخفي الجزار المذبحة
وأنا وجدت السكين

الشهداء

وتصف الشاعرة مسيرة جنازات الشهداء، وما يحدث في أثناء تشييعهم، من حقد
على العدو المغتصب والقاتل، ومن رفع للشهداء والوطن على الأكتاف ، إلى جانب
الكوفية، بدالاتها ورموزها الوطنية، استعدادا للفعل المقاوم:

(نحمل الشهيد

ونحن نضع

الكوفية

على الأكتاف

والشوارع

الغاضبة

تحمل قلبها.)

موت

إن في سقوط الشهداء، تجريد العدو من مصادر قوته، والمتمثلة في أسلحته القمعية، وحرمانه من دلالاته المادية "نجمة داوود" ، وكلها تعني أن العدو في هزيمة نفسية، والمقاومة بصدد انتصار حيث الأمكنة فلسطينية عربية، الهلال هنا لا النجمة، حين يكون المقاوم في هذا المكان تصبح الأمكنة فلسطينية عربية:

(مات في هذا المكان

الذي لم يجد المحتل فيه

نجمة داوود.)

صورة العدو

وتتضح صورة العدو، وتصبح أكثر جلاء كلما تقدمنا في قراءة قصائد هذا الديوان، فالعدو هو البرد، والعدو هو الذي يسلب الانسان الفلسطيني (المدفأة والمعطفُ:)

(الآن في هذا البرد

عن الأجساد

يأخذ المعاطف.)

أبو جندل

ولأبي جندل، باعتباره الرمز لكل المقاومين الذين ضحوا بأرواحهم، أكثر من قصيدة، في أكثر من ديوان من دواوين الشاعرة أمينة العدوان، فهو المحارب الشجاع، الصامد الذي يتجذر بوطنه، ولا يرحل عنه، والوطن نفسه، لا يرضى بمن يقطنه إلا

صاحبه الحقيقي ، ومن ضحى من أجله، وهذه أروع صورة للتلاحم الوطني بين
الانسان والمكان:

(مات أبوجندل

وظل المحارب

يتشبث به، يتمسك به

وطنا لا يريد أن يرحل)

والمعروف لدى الباحثين أن صورة العدو هي تمثيل للعدو نفسه ، وسببها أفعاله
وتصرفاته التي تتسم بالفظاعة والوحشية، فهي التي تجعل المواطن الفلسطيني يراه
عدواً، وهو أدق وصف له ، ولأن صورة العدو " هي صورة مشتركة بين جميع الذين
يتألف منهم الكيان الغاصب"، فإنهم باحتلالهم، وبانتهاكاتهم اليومية لحقوق الانسان
الفلسطيني يمارس العدوان اليومي على الشعب الأعزل
تقول الشاعرة تحت عنوان "هبه ضراغمة":

(يدفعني خارج البيت

أتفقد الوجوه قبل أن أرحل

سكون الغرفة المغلقة

النار تحرق الأجساد..بدل أن تدفئها

وليس الا الصواريخ ما يضيء الطريق

أجساد الكائنات..وازدحام الطرق

بالأجساد المتفحمة

والطرق لم تعد

إلا أكفانا ومشيعين

والأمكنة لم تعد إلا فراقا

ورحيل
الأمكنة لا أجدها
لا بيت أبقى
ولا مزرعة ولا مصنع
لكن دما كثيرا
وجراحا
وكائنات غاضبة
بين الخراب والحرائق
أعد الحقيبة
أضيء المقابر
أفك الأكفان عن الاجساد
وجرح في يد القاتل
لم يكن من قبل
ما تناثر من الحقيبة.)

الرؤية الاستراتيجية

إن الرؤية الاستراتيجية الاسرائيلية تبلورت في أثناء الانتفاضة على شكل خطط ومشاريع أحادية، لضم أكبر مساحة ممكنة من الضفة الغربية، مع تحويل المدن والتجمعات الفلسطينية الى كانتونات محاصرة ومعزولة عن بعضها بعضا ، اضافة الى تحويل قطاع غزة الى سجن كبير محاصر ومعزول أيضا عن الضفة الغربية، وهذه السياسة نفرض وفق الذهنية الاسرائيلية اتباع سياسية الأرض المحروقة، وتدمير المدن والقرى ، و البلدات والثروات الفلسطينية ، بما في ذلك الكوادر والقيادات المقاومة فالشعر في ديوان "السور المهذوم" أمام جريمة حرب اسرائيلية بكل ما للكلمة من معنى

، وبما أن الحرب تطال الجميع دون استثناء ، حيث أن اسرائيل لا توفر أحدا ، فإن للشعر دوره في المقاومة، لذا نجد صورة العدو في شعر أمينة العدوان مرتبطة بالموت، الظلم ، الاستباحة ، المصادرة ، الحواجز ، الجوع ، التعذيب ، واغتيال الجغرافيا والتاريخ ، سلب الهوية ، وكل ما يستلب ويدوس على إنسانية الإنسان:

(في أنقاض كل بيت

في كل الطرق

كلمات جريح

تتردد)

وتقول عن الشهيد عبدالرحمن ملوح:

(اشاروا إليه

قادم إلى الطريق

ووجدت

الكائنات

بيوتها

الضائعة.)

حكايات النضال

إن قصائد أمينة العدوان، تتحول في بعضها، وحسب قدرة الحدث على التأثير، إلى قصص شعرية نضالية، تلخص الكثير من الوقائع، مع إبراز الوجه القاسي للاحتلال ، وممارساته الارهابية، وانعكاس آثار هذه الممارسات عليه هو، رغم دورها التدميري في الأرض و الشعب:

(يضع الفسفور في غرفتي

ويضيء الغرفة
ويلقي الصاروخ
وأنا لم أقتل
هنالك
جنوده مقتولون
في
الغرفة.)

* * *

(هو كائن حي
وليس ميت
فلماذا
أراد
وضعه
في
القبر
حيا.)

المرأة الفلسطينية

وتصور الشاعرة ما قامت به المرأة الفلسطينية من أدوار أساسية في النضال، من خلال تعبئة كامل الطاقات والإمكانيات، فالنساء نصف الشعب، ويملكن طاقات وإمكانيات وطنية ونضالية كبيرة لا يجب هدرها أو عدم الاستفادة منها، بل يجب إطلاقها بشكل خلاق وفاعل.. فهن في شعر أمينة، وفي الواقع قادرات على مقاتلة مغتصبي وطنهن ومضطهدي شعبهن، وهن أول من يلبي نداء الوطن، ويعمل من أجل

الخلاص من الاحتلال، وتحرير الوطن من الاغتصاب، ولهذا فقد اندفعت المرأة الفلسطينية إلى ساحات النضال مع البدايات الأولى لحرب الشعب الفلسطينية، وفي كل انتفاضاته، وهي التي تتجاوز النضال ، للعمل مسعفة وممرضة، ومحرضة للجماهير ومعبئة لها من أجل الدفاع عن الوطن..انها تشترك في الانتفاضة بفعالية، وتنتظر، وتتصدى للجنود بالحجارة وزجاجات المولوتوف، الانتفاضة حركت المرأة الطالبة، والمتقفة ، وربة البيت، والعاملة، والفلاحه، وما أكثر اللواتي استشهدن وهن يقاتلن الجنود، الذين فقدوا أزواجهم بالاغتيال والأسر، الزوج، الأب، الأخ، الأخت، الابن، أو الابنة، تقول الشاعرة:

(هنا أخذوا الأبناء والأزواج

وتبقى المرأة وحدها

تمضي الليل

وقد رحل زوجها

وهو يحارب وحده جيوشا

شهيدا..أو أسيرا..أو معتقلا.)

الواقعية النقدية

ولأن قصائد أمينة العدوان، في ديوانها هذا، وفي غيره من الدواوين، تسير وفق الواقعية، وتحديد أمينة العدوان، أم الواقعية النقدية ، فلا بد من الإشارة هنا ، إلى أن الباحثين يرون في تعريفها أنها إخضاع الواقع للنقد والتمحيص ، فهي الأقرب للحياة، والأكثر تعمقا ووعيا بها، وهي تعكس عدم الرضا عن الواقع بأبعاده وخاصة السياسي منها، وهي إفراز لرؤية احتجاجية على واقع فرضته القوى المهمينة في العالم (ومنها هنا اسرائيل)، فالأعمال الفنية الكبرى بوصفها تعبيراً عن موقف انساني مسؤول ، تعارض وتنقد وتتمرد على مثل هذه الأوضاع ، لذا كانت الواقعية عاكفة على كشف

الواقع الاحتلالي المظلم ، حتى لا يتم تكريسه ، والواقعية أيضا ترفض الاستغراق في الخيال والاسراف في المجاز والرمز وترفض الصدفة ، وتعتقد بالأسباب والنتائج ، وتبيح تصوير القبيح ومظاهر السلبية وتعالج الموت والحياة وما إلى ذلك(أنظر كتاب د.محمد صالح الشنطي، في النقد الأدبي الحديث، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، السعودية، 1999، ص105).

الصحافة

تنظر أمينة إلى الصحفيين على أنهم مقاتلين، فهم يتواجدون في ساحات الاشتباك مع العدو، وهم الذين لا يجدون من يحميهم، بل على العكس كثيرون منهم يستشهدون، مثلهم مثل المقاومين في المعركة، وحين يثبتشهد ويُجرح ويُعتقل ويحدث الدمار والخراب من قبل الاحتلال، فإن الصحفيين هم الذين يكشفون النقاب للعالم الدولي بأكمله النقاب عن جرائم العدو، لذا فهم مستهدفين من قبله، لكي لا تظهر جرائم الحرب التي يرتكبها :

(صحفيون صحفيون

يقتلون..يجرحون

لأنهم يقولون الحقيقة

يكتبون والعالم العربي يقرأ لهم

وهم أصبحوا

جريدة

يحملها

(القراء)

دمار

ولأن الانسان مُخَيَّر من قبل الاحتلال، بين أن يأتيه الموت والدمار وهو في منزله،
وبين أن يموت وهو في حالة المقاومة، فإن هذا الانسان يختار الخيار الثاني، فيستشهد
بعد أن يوقع في العدو خسائر مماثلة للتي يوقعها في شعبه:

(قبل أن نصبح أشلاء

يد وأقدام متناثرة

علقت

في

يده

الحقيقية.)

وتقول في قصيدة أخرى:

(لا جريمة لم يرتكبها

وكل من قتلهم

تركوا

لي

الحزام.)

وفي صورة شعرية أكثر تعبيراً عن أثر العمليات الاستشهادية على العدو، تقول
الشاعرة:

(ان السلم الذي صعد بأقدامه

علي..علي

وأراد أن يدوسني

إنه يرتطم بي

وأراه

يتدحرج.)

أدب الحجارة

ولأن إجراءات العدو، المحمية بألة حربية ضخمة، تمارس يوميا دورها التخريبي والتدميري، فإنها ، تتعرض هي الأخرى، لمقاومة مهما كانت متواضعة، إلا انها هي الوسيلة المتوافرة في أيدي جميع المواطنين، إنها الحجارة:

(حين سار يهدم البيوت

لم ير

على الجرافة

إلا تساقط

الحجارة.)

أدب المخيم

وضمن أدب المخيم، ترسم الشاعرة صورة العدو، باعتباره الذي يمثل الموت الذي يتجول بين الأحبة كي يقتلهم:

(كان الموت

يتجول في المخيم

وينام

بين

الأحباء.)

* * *

بطولات مخيم جنين
محاربون شجعان
وجنود فارون
وعلى أرض مخيم جنين
تقع الخوذات

موت

وتربط الشاعرة بين الانسان الذي يموت، على اعتبار أن العدو هو الموت الذي يلحق بالبشر، وبالكائنات كلها ايضا، وبين الزهرة التي تذبل:

(الكائنات أشلاء

وزهور كثيرة

تذبل.)

* * *

إنّ الجرحى
أمامي ينزفون
الشوارع من دم
والأرصفة
تسير شاحبة

حرب

إن الحرب التي يخوضها العدو، لا تقوم بتمزيق الاجساد فحسب، بل لها آثارها النفسية أيضا ، فحين يفقد الانسان الأمان، تصبح روحه مهددة بخطر الموت في أي لحظة:

(لا إشارات

والطرق

فقدت أمانها.)

إبادة

ولا يعني ذلك التقليل من الأثر الذي يتركه سقوط الشهداء في حروب الإبادة التي يشنها العدو:

(شهداء

ويرى المحتل

ما يضيع.)

مقاومة

غير أن الأثر النفسي لحرب العدو، والأثر الجسدي، وما يخلفه من قتل وتدمير، ذلك كله، ما يدفع الناس لتأجيج المقاومة، والسير في الطريق المؤدية إليها:

(الوطن تريد

أن تهب إليه

والشهيد

يقودنا

إلى الطريق.)

شهداء

إن سقوط الشهداء مرعب للعدو أيضا، فهو يعرف أن خصمه لم يمت ، وحتى بعد أن يدمر بيته ويصبح أنقاضا، وحتى بعد انتشاره أشلاء من تحت الانقاض ، وحتى وهو في الكفن، فإن العدو يخشى من ردة الفعل الانتفاضية التي سيتركها لمن بعده، لذلك تستمر المقاومة وسط الألم والقهر، ويستمر العدو في خوفه:

(ألم أم قهر

أهو من التراب الذي أصبح بيتا

أم هو من خمسة من عائلتي

رقدوا تحت الأنقاض

حتى من الكفن

من النعوش

أراه آت

يأخذ البصمات.)

صورة العدو

ولأن صورة العدو مرتبطة بالعبودية و بالسجن وبالموت وبالحواجز والأسلاك الشائكة والجدران والقضبان، فإن هذا العدو، بعد أن أحال بجرانه فلسطين إلى سجن كبير، لا يتوان عن تضيق الخناق على المعتقلين، فيعذبهم جسديا ونفسيا ، ويحيل زنازينهم إلى قبور أو أقفاص ، ومع ذلك ، ووسط هذا الوضع السيء، فإن المعتقلين يحلمون بالحرية لهم وفلسطين، فيرسمونها خلف جدران السجن التي كانت تغلق عليهم، ومهما طال الزمان:

(خلف قضبان السجن
كنا نرسم فلسطين
كانت الجدران تغلق علينا
وكان وجه السجناء قبيحا
كأنه يحفر لنا قبرا
هنا الأيام
تثقل على صدورنا
والأمكنة الفسيحة تضيق
وهو لا يضعنا
إلا في القفص.)
* * *

الأسرى
قيود على أيدينا
التي ترفع العلم
ولكني أرى أصابعي
ويدي
وهي تبعد القيد
كدمات
ودم

* * *

الأسرى الأحرار
الجندي حبال للأيدي
ومناديل للعيون
يسير بالسكان
في الطرق الضيقة
التي غطتها
خوذات ملقاة

الأسرى الأحرار
وتبدو معنويات الأسرى أكثر شموخاً وكبرياءً ، رغم العذاب والاضطهاد، فالأسير
يعمل لتخليص نفسه من القيد، لينطلق في مواجهة العدو وقضاته وسجانيه، ليطالبهم
بالرحيل، غير آبه بالموت، ولا بالاعتقال، مؤكداً أنه يعمل على تحرير وطنه:

(إني بالرغم من التعذيب والاعتقال

أقول

سأحرر وطني

أنادي

وطني حر

بصوت عال

أرفع يدي فوق القيد

أنادي أمام القضاة والسجانيين

أنادي..أنادي

ارحل..ارحل

أريد وطني حراً

وبالموت لا أبالي.)

* * *

نحن أكفان أكفان
بأعلام الوطن
من الموت البارد
نتدثر

سياسة الاعتقال

وفي مواجهة سياسة الاعتقال الاسرائيلية، تصف الشاعرة ما يتعرض له المعتقلون من إجراءات تطالهم في أجسادهم وأنفسهم، فالعيون محاطة بمناديل تحرمهم من الرؤية، والأيدي مكبلة بالقيود، والأجساد محاصرة في زنزانة، ولا يرى المرء إلا عدوه، فالعدو هو السجن، وهو القيد، وهو خصم الحرية هو العبودية:

(العيون التي تنظر تنغلق بالمنديل

والأيدي التي تعمل

تكبل بالقيود

والأيام لا مكان آخر

تذهب لتمضي حياتك

القيد في اليد يضايقك

وما تفعله تنقله لليد الأخرى

وكل ما تكرهه تراه

هذا الزائر الكريه

لا ترغب في رؤيته

ليس إلا

قيدا يسير.)

وتقول تحت عنوان "الأسرى الأحرار" :

(حين يأخذون مني أنا الأسير

ملابسي..

حذائي..

ساعتي..

أرى أن الوطن

يرتدي

الأثيابي)..

إحراق المساجد

وثمة قصائد كثيرة ، توقفت فيها الشاعرة عند الانتهاكات الاسرائيلية الموجهة للمقدسات الاسلامية والمسيحية في فلسطين، وغدت قصائدها لوحات تشكيلية، ترسم المساجد التي تتعرض للعدوان ، في مشهد ، تضاء فيه أركانها ، وتسمو مآذنها، وتتوهج الألوان الخضراء، وترتفع المصاحف، رغم ما ألحقه الحريق من أثر بالأوراق والسجاد، تقول الشاعرة في قصيدتها التي حملت عنوان "إحراق مسجد عمر بن الخطاب":

(أوراق القرآن الممزقة المحروقة تحت القصف

وظلت السجادة تنشج وتبكي

ألم يعرف أن هناك مسلمين

القرآن ترفعه الأيدي

والحياة تصبح الرحيل
المناديل الخضراء كأنها مآذن
والجامع يضاء.)

كنيسة المهدي

وحتى بيت الله "كنيسة المهدي" لم ينج من الحصار، وتحول إلى سجن على
المعتصمين من بطش العدو فيه، غير أن جرس الكنيسة، لم يتوقف عن الرنين، والذين
بداخل الكنيسة لم يتوقفوا عن الحياة، ووحده الجندي الذي كان محاصرا ومتضايقا مما
يرى ويسمع:

(اعتصمت في الكنيسة

وسوف أقرع الجرس

وسوف

يسمعه

وحده

الجندي.)

التهجير القسري

وتلخص قصيدة الشاعرة أمينة العدوان التي تحمل عنوان " التهجير القسري " كل
ممارسات العدو الرامية لتفريغ الأرض من سكانها، وتصاريح الخروج والمغادرة دونما
عودة، أو من خلال عمليات التهجير القسرية التي يمارسها، وفي مقدمتها جعل المواطن
لا خيار له، الا الإقامة في القبر أو خارج الوطن، فالعدو حصار، ودمار، وموت، ومع
ذلك فإن البقاء أفضل من تفريغ الأرض من سكانها وإبقائها ملكا له يقضمها بشق الطرق
حيناً، وبالاستيطان دائماً:

(تصريح الإقامة
خارج الوطن
يريد أن نوافق عليه
أن نقيم
في القبر
الخطر
لا أمان..لا أمان
إن سرنا في البيت أو السيارة
أم جلسنا
الصواريخ على البيوت
وجوهنا مغلقة ، رعب، حصار
نحن صامدون
كم علينا أن نحتمل كل هذا الظلم
نبحث عن الأمكنة لا نجدها
الحصار
ليل
يضيع
الأمكنة.)

قصص البيوت السكنية

وثمة صور شعرية أكثر تراجيدية وحزنا وألما ، تتبدى في مشهد "قصص البيوت السكنية" بالصواريخ ، فحين يتم تدمير المنازل على من فيها من رجال ونساء وأطفال ، وحين يموت بعضهم ، ويبقى البعض الآخر يئن تحت الجراح، وحين يسمع الجرحى

أنين بعضهم، يكون المشهد عبارة عن دفن السكان وهم أحياء، وهذا المشهد يتكرر في كل وقت ، في الليل، في النهار، فالزمن يتساوى عند العدو، اغتياًلاً ودماراً وحصاراً:

(غابت الأصوات تحت أنقاض البيوت

إلا صوت أنين والديه

الذي انهال البيت عليهم أحياء

يسير بين كائنات من دماء

وتراب مضرّج بالدم

وصوت أنين والديه

يعلو فوق الأنقاض

يدفن السكان أحياء

الفقدان أو الجريمة

لا زمن لها

لا ليل لا نهار

ولا يوم

لهذا الطفل

في الحصار.)

* * *

قصف البيوت السكنية بالصواريخ

انهال البيت

واليد الملقاة وحدها

على الأنقاض

إبني

* * *

قصف البيوت السكنية بالصواريخ

بيت ألقاه على الأنقاض

من أبنائي

لم أجد إلا يد أو قدم

أشلاء

ومن هناك

لم أعد

بعد

وتقول في قصيدة أخرى:

(هنا جعل المنازل جبهة

والسكان العزل جيش

كيف تكون هذه الحرب.)

وفي قصيدة تالية تقول:

(غابت الأصوات

تحت أنقاض البيوت

يضعون الأكفان عند الطرق

التراب يتضرج بالدم

فيتوارى الغبار.)

اغتيال الكوادر

أما غتيال العدو للكوادر، فله أكثر من قصيدة في هذا الديوان، فالعدو يتابع الكوادر المدربة على مقاومته، وعلى القيام بواجبها المؤسسي نحو المواطنين، الكوادر التي ترفع الراية، وتحمي الوطن والمواطنين، يتبعها العدو بصواريخه، لكي تستحيل إلى أشلاء ودخان، وحين تستشهد، يعترف العدو بخسارته، فثمة من سيق في الموقع المقاوم نفسه، ويقوم بالدور النضالي في الوقت نفسه:

(صاروخ يسير نحوه

الأوراق المتناثرة

وكائن من دخان وأشلاء

وقبضات مهددة

ها هو وجه الوطن

يأتي بالصبح

كان قد رفع الأعلام

على المباني

وجندي حين اغتاله

كان يبحث عن شرفة فارغة.)

وتقول تحت عنوان "اغتيال الكوادر":

(أحرق أمتعته التي لم يحزمها يوماً للسفر

كنت أعتقد أنني أحرق أيضاً حقيبته

ولكنه بالحقائب جاء.)

* * *

في الشارع جرحى وشهداء

وعلى القاتل

تهب

عاصفة

* * *

ألا نهاية لهذا التعذيب

يدي وهي ترفع القيد

كدمات

ودم

* * *

اغتيال الكوارد

في هذا الصباح

أرى كيف أتى بالليل

وضع الشمس في القبر

ولا نهار

أرى

العقوبات الجماعية

وتصور الشاعرة العقوبات الجماعية التي تتعرض لها القرى الفلسطينية إبان

الانتفاضة، فثمة حرب تدمر البيوت والمزارع ، وثمة جنود مدججين بالأسلحة،

ورؤوسهم ترتدي القبعات السود، تقول الشاعرة في قصيدتها التي حملت عنوان "قرية
النعمانية":

(من بعيد
كنت أرى قرיתי
من بعيد
بدأت أخوض حربا
وقد أخذ بيتي ومزرعتي
ماذا يتوقع
والنعمانية لم أعد أراها
أخفتها القبعات السود.)

مذبحة

ومن المشاهد التي صورتها الشاعرة في ديوانها " السور المهدم " مشهد المذابح
التي تتعرض لها الكثير من المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية، في هذا الديوان
تصوير لاجراءات العدو، وتصوير لما يقوم به ذوي الشهداء:

(كنت أراه يضع التراب والحجارة

على وجوههم

يدفنهم أحياء

أين أجدهم

أبحث

كان الوقت يمر ببطء

واليوم طويل

وأنا أبحث ولا أجدهم

دفنهم تحت الأنقاض أحياء

وأنا أتلاشى

ثمة وأد

ثمة كائنات قتلت

ثمة جريمة

وخلف القاتل

أنا أعدو.)

* * *

الرصاص الذي قتله

يتجول في الغرف

ولم يعد يقيم

إلا قتلاً في بيتي

المقاومة

إن كل كلمة في ديوان "السرور المهذوم" لها دلالاتها وأبعادها الوطنية، وفي

قصيدتها "المقاومة" تلخص الشاعرة في سبع كلمات دورها المتمثل في حراسة الوطن،

ورد العدوان عنه:

(للوطن نحن حراسه

نبعد السيف عنه

دروع دروع.)

إسماعيل أبو شنب

وثمة بعض الأسماء التي تركت بصماتها في تاريخ النضال الفلسطيني، وكانت الأنموذج لكل الكوادر التي قام العدو باغتيالها، عبر توجيه الصواريخ لسياراتها، وهنا يكون مشهد الجماهير الغاضبة، وهي تطفئ نار الحقد عن السيارة، وتقوم بجمع الأشلاء ، التي كانت بالأمس انسانا مناضلا يطارد فلول العدو ويتحدى بطش وجبروت صواريخه:

(في الطرق نحملة جسما محترقا

هذا الكائن الأقوى

الذي يحارب وحده

والصواريخ تطارده

وتصبح السيارة هيكلًا

وكأننا قبل أن يحترق

وضع في يد القاتل

جمرة.)

محمد طوالبه

ومن جديد، تنقل الشاعرة نبض الشارع الفلسطيني الذي يكره الجواسيس، ويعرف وسائلهم وأساليبهم المتمثلة في إشاراتهم الفسفورية المضيئة، نحو سيارات المقاومين ومواقعهم، كي يقصفهم العدو بصواريخه ومن طائراته، الأمر الذي يحرم الوطن من أهم قياديه، بل من أهم الكوادر المناضلة ، ولكن من يتبقى من المقاومين سيعمل على تلقين جنود العدو ما يستحقونه من الجزاء:

(أنا الآن أقاوم في مخيم جنين

أرغم العميل على وضع الفسفور على الجنود

وأرى الظلم من شدة الضوء
أغمض عينيهِ)

كما تقول الشاعرة في هذه القصائد التي تراها نشيد العائد:
ونشيد العائد:

حياة تتوقف
عند رسالة وداع
وطن يصحو على كائنات
من التابوت ما زالت تخرج يدها
* * *

ونشيد العائد:
طرق ترابية
ترهق الأقدام
هناك مرّات
بعد سير طويل مرهق
أراني أعبد طريقاً وعرّاً
وللأقدام المنهكة آتي عربة
* * *

ونشيد العائد أيضاً:
وشهداء
يرى المحتل ما يضيع
* * *

ونشيد العائد يقول:

سيأتي المبنى
وبقي هذا القاتل يريد هذه المباني له
سنوات هذا العذاب
جسده معلق على الباب
* * *

ونشيد العائد:
حين عدت بالعلم
منفى لي
رحل

ملخص إحصاءات الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان خلال انتفاضة الأقصى

وكانت تلك الانتهاكات التي بدت جلية في شعر أمينة العدوان منذ اندلاع الانتفاضة ،
وحتى إعداد هذا الكتاب ، على النحو التالي :

عدد الشهداء: 4342 شهيدا، منهم 797 طفلا، و732 امرأة، و382 تم اغتيالهم
وتصفيتهم جسديا، و140 شهيدا استشهدوا عند الحواجز – ومنهم الطفل والسيدة التي
أجهضت، والشيخ المسن ، وغيرهم من مرضى القلب والكلى والسرطان –
و344 شهيدا من صفوف الأمن الوطني، و62 شهيدا جراء اعتداء المستوطنين عليهم،
و36 شهيدا من أفراد الأطقم الطبية والدفاع المدني، و9 شهداء من الاعلاميين
والصحفيين، و220 شهيدا رياضيا هم شهداء الحركة الرياضية.

عدد الجرحى: بلغ إجمالي عددهم 46172 جريحا، وهناك 8435 جريحا تلقوا علاجا
ميدانيا.

عدد الأسرى: بلغ عدد الأسرى والمعتقلين الذين ما زالوا في سجون الاحتلال
9200 معتقل، موزعين على أكثر من 28 سجنا ومعتقلا ومركز توقيف، ويبلغ عدد
المعتقلين من طلبة المدارس والجامعات 1389 طالبا وطالبة من المدارس والكليات
والجامعات، منهم 301 من الأطفال رهن الاعتقال ، كما يبلغ عدد المعتقلين من المعلمين
والموظفين في التربية والتعليم العالي 205، أما عدد المعتقلين من الذين يعانون من
أمراض مزمنة فهو 1200 معتقل، وتفيد الاحصاءات أن عدد المعتقلات من النساء

116 أسيرة، منهن 67 أسيرة محكومة ، و 43 أسيرة موقوفة، و 6 أسيرات يخضعن لاعتقال إداري " دون تهمة".

المنازل والمباني: يبلغ عدد المباني العامة، والمباني والمنشآت الأمنية التي تم تدميرها 645، كما يبلغ إجمالي عدد المنازل التي تضررت بشكل كلي أو جزئي 71470 منزلاً، منها 7628 منزلاً تضررت بشكل كلي، و 63842 منزلاً تضررت بشكل جزئي.

المدارس والجامعات: بلغ عدد المدارس والجامعات التي تم إغلاقها نهائياً بأوامر عسكرية: 12 مدرسة وجامعة، أما عدد المدارس التي تم تعطيل الدراسة فيها جراء العدوان 1125 مدرسة ومؤسسة تعليم عالي، كما بلغ عدد مؤسسات التربية والتعليم التي تعرضت للقصف 350 مدرسة ومديرية ومكتب تربية وتعليم وجامعة، وتم تحويل 43 مدرسة لثكنات عسكرية ، وبلغ عدد الشهداء من الطلبة والمعلمين 846 ، وبلغ عدد الطلبة والطالبات والموظفين الذين أصيبوا برصاص الاحتلال 4809.

الأرض والزراعة: بلغ إجمالي مساحة الأراضي التي تم تجريفها: 76867 دونماً، وبلغ عدد الأشجار التي تم اقتلاعها 1355290 شجرة، وبلغ عدد المخازن الزراعية التي هدمها الاحتلال 770 مخزناً، وبلغ عدد مزارع الدواجن ومعداتنا وحظائر الحيوانات التي هدمت 765 مزرعة، أما عدد الأغنام والماعز التي ماتت برصاص الاحتلال 14749، أما الأبقار وحيوانات المزارع التي قتلها جنود الاحتلال فبلغ عددها 12132، كما اتلف الاحتلال 15265 خلية نحل، كما تم هدم 403 آبار بكامل ملحقاتها، وهدم الاحتلال 207 منازل للمزارعين مع أثاثها ، وقتل 899767 دجاجة لاحمة، و 350292 دجاجة بياضة، و 1650 أرنباً، وجرف 31263 شبكة ري، وهدم 1327 بركة وخزان ماء، وجرف 609593 متراً من سياج المزارع وجدرانها الاستنادية، و 929984 متر خطوط مياه طولية، كما بلغ عدد المزارعين المتضررين 16195 مزارعاً، وبلغ عدد المشاتل التي تم تجريفها 16 مشتلاً، وبلغ عدد المحلات والبساتين والورش التي تم تدميرها 9254 ،

وأخيرا بلغ عدد العاطلين عن العمل إبان انتفاضة الأقصى 198 ألف عامل، وبلغت نسبة الفقر 53ر5 %